

2 me Année,No . 38

Lundi-26-3-1934

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الاقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الأعلانات يتفق عليها مع الادارة

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

بشارع الساحة رقم ٣٩ بالقاهرة

تليفون رقم { ٤٢٩٩٢ ، ٤٠٥٣٠

العـــدد ٣٨ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٠ ذى الحجة سنة ١٣٥٢ — ٢٦ مارس سنة ١٩٣٤ » السنة الثانية

فهرس العـــدد

صفحة

عيـــد الاضحى . . .

. . . وفى مارس أيضا يقبل عيد الاضحى أو يوم الله ، بعد ما أقبل عيد الضحايا او يوم الوطن ! والايمان بالله وبالوطن أسمى شواعر النفس ، والتضحية لله وللوطن اصدق شعائر الايمان ، والاحتفال بيوم الله ويوم الوطن أقدس مظاهر الانسان ، وعيد الأضحى أجل اعياد المسلمين خطراً ، وأبلغها فى حياتهم أثرا ، وأبلجها فى نفوسهم دلالة . تجمعت فيه مبادىء الاسلام وغاياته كما تتجمع صور الوجود فى العين ، ومحاسن الربيع فى الزهرة . فهو موجة من النور الهادىء الهادى فى خضم الزمان المضطرب ، وفترة من السلام الالهى بين خطوب الجهاد المضطرم ، ونفحة من النعيم السماوى تندى لها القلوب اليابسة بالوداد المحض والبر الخالص ، وسبب من الروح المؤاخى يصل بين الغنى والفقير بالاحسان ، وبين القوى والضعيف بالرحمة ، وبين القريب والبعيد بالمودة ، وبين الله والانسان بالصلاة ، وبين المسلم والمسلم بالحج ! !

الأعياد الدينية واحات فى صحراء الحياة ، يستريح الى نبعها الحران واللاغب ، ويطمئن الى ظلها الهيمان والشارد ، ويجد الكاسف المعمود فى نسيمها الندى برد السرور ونشوة العافية ، ويذهل السائر المجهود برهة من العمر عن مخاطر

الطريق ومكايد الرفاق ومساوىء القافلة ، ويذكر ان له عواطف صالحة طغت عليها المنافع ، وقرابة واشجة قطعت بينها المطامع ، وصلات شابكة أوهنتها الجفوة ، وتبعات واجبة أعجزه عن حملها كلال الضمير ، وغاية الى الخير المطلق أضله عن سبيلها غرور الحياة .

عيد الأضحى هو عيد الاسرة والأمة والملة ، يفيض المسرة والبهجة على البيت ، ويجدد المودة والالفة فى الوطن ، و يسفر بالتعارف بين وجوه الاخوة فى عرفات .

فاذا رده اليوم فساد العيش فى المدينة إلى ما نعرف من خروف يذبح ولا يُضحى ، ومساجد تؤذن بالمدافع والمآذن ولا تجاب ، وبيوت تُفتح للتهانى ولا تزار ، وأيام كنقاهة المريض كلها خمود ونوم وأكل ، فأن له فى القرية صورة لاتزال منذ الطفولة فى ذهنى فتانة الجمال اخاذة السحر شديدة الروعة :

لا يكاد يفرغ القرويون من صلاة المغرب ليلة العيد حتى ترى طريق المقبرة يسيل بالفوانيس الشاحبة الخافتة . ثم تنتشر آخر الأمر على وجوه القبور انتشار الحُباحب (١) ، وتنتقل القرية الحية الى القرية الميتة فتقضى موهنا من الليل فى الاستعبار والاستذكار والقراءة ، ثم يعودون وقد كفاهم (الفقهاء) مئونة ما حملوا من الكعك والفاكهة ، فيقطعون الهزيع الثانى من الليل فى طسوت الحمّام أو فى دار المزين ! والغسل بالماء الساخن لا يعرفه الفلاحون الا ليلة العيد وليلة الزواج ويوم الموت ، ثم يُعدون زينة العيد فيكوّرون العمائم ويصبغون الاحذية ، ومن لا يحسن لوث العمامة ، أولا يملك علبة (الورنيش) ، ذهب بطربوشه أو بحذائه الى قريبه أو جاره ، والقرية كلها أسرة واحدة يكمل بعضها نقص بعض ، فاذا فرغوا من ذلك ناموا على هدهدة الاحلام ومناغاة المنى ، وتركوا النساء امام المواقد ينضجن الخبز ويطهين اللحم ويصنعن الحلوى حتى الصباح !

تشرق شمس العيد على القرية فى غير وجهها المألوف ، فلا النور كان باهرا كهذا النور ، ولا الشعاع كان ساحرا كهذا الشعاع ؛ وتستقبلها القرية فى غير زيها المعروف ، فلا الوجوه كانت ضاحكة كهذه الوجوه ، ولا الجلابيب كانت ناصعة كهذه الجلابيب ، ولا العمائم كانت زُهْرا كهذه العمائم ، ولا الدروب كانت مطرزة بألوان الربيع كما هى اليوم ! !

لا يتخلف عن صلاة العيد من أهل القرية غير النساء ! أما الرجال فهم صفوف وراء الامام يؤدون الصلاة ، وأما الأطفال فهم وقوف على الأبواب يشهدون الخطبة ! ثم تقضى الصلاة فيقبّلون الخطيب جميعا ، ويقبل بعضهم بعضا ، ثم يذهبون رَتَلاً جميل النسق الى المقبرة ، ويرجعون من طريق أخرى الى الحارات المكنوسة المفروشة ، فيجلسون أمام المنازل الى الطعام الشهى الفاخر ، يتبادلون الألوان ، ويتهادون الصحاف ، ويتركون على موائدهم محلا رحيبا للفقير !

تُرفع (الصوانى) وتوضع القهوة ، ثم يقوم العَمدة فى أهل حارته فيزورون الحارة الاولى ، فيهنئون ويجلسون ريثما تدار القرفة وتوزع السجائر ، ثم يقومون جميعا الى الثانية فالثالثة فالرابعة وهلم جرا الى آخر البلد ، وكلما مروا بحارة أخذوا أهلها الى الأخرى ، حتى تجتمع القرية كلها آخر المطاف لدى العمدة فيقضون فى مجلسه أكثر اليوم .

ذلك أمر الكهول والشيوخ ، أما الشباب والايفاع فيطوفون زمرا بالبيوت يهنئون الصبايا وأيديهن لاتزال فى الطعام ، فيطبعن بالقبلات الخلية على الخدود البرنزية خاتما رقيقا من (الدمعة) ، ويرسمن بالانامل المخضبة على الثياب البيض طغراء جميلة من الدسم ، ثم ينصرف بعد ذلك الشباب الى لعب الكرة فى ساحة البَيْدر ، والاطفال الى الاراجيح على أشجار الترعة !

تلك صورة العيد فى القرية رسمتها بغير ألوانها الزاهية ، وجلوتها فى غير اطارها المذهب ، فبالله ربك ! اهى على علاتها اخلق بالانسان واقرب الى الدين وأشبه بالخلق ، أم هذه الصورة التى تراها اليوم فى شوارع المدينة وجوامع المدينة وقصور المدينة ؟!

نسأل الله مخلصين أن يعيد هذا العيد على الأمة المصرية والدول العربية والممالك الاسلامية ونحن وهم على خير من هذه الحال !

احمد حسن الزيات

---

(١) الحباحب ذباب يطير بالليل له شعاع فى ذنبه كالسراج

النقد والطربوش وزجاج النافذة

للدكتور طه حسين

وتستطيع ان تضيف الى هذه العنوانات عنوانات أخرى ، فهناك أزقة ضيقة شديدة الضيق ، ملتوية شديدة الالتواء ، قد كثر على ارضها الوحل ، حتى ان الذى يمشى فيها لينزلق ، أو يمشى مشية مسلم بن الوليد فى بيته المشهور :

اذا ماعلت منا ذؤابة شارب   تمشت به مشى المقيد فى الوحل

وقد أمطرت سماؤها أو نوافذ ما يقوم فيها من الدور ألوانا من المطر ، منها السائل ومنها اليابس ، نستغفر الله ، بل قد صبت سماؤها أو نوافذ مايقوم فيها من الدور الوانا من البلاء ، منها مرق الفول النابت ، وماء المخلل ، وفيها أشياء أخرى جامدة كانت تهوى على الرؤوس ، وربما مست العيون ، وربما دخلت الافواه ووصلت الى الحلوق فانعصرت فيها انعصارا ، وأذكت فيها لهيبا ونارا ، وقد كان فى هذه الازقة مارد من مردة الجن أو مردة الانس ، له صدر عريض قد انتفش فيه شعر طويل حاد كأنه الاسنة ، يصطدم به الرجل القصير فاذا هذا الشعر الطويل الحاد يداعبه ويلاعبه ، فيعبث بوجهه ، ويدخل فى أنفه وفى فمه وفى عينيه . وقد كان فى هذه الازقة غلام شرير ، لسانه عذب ، ويده مرة ، وقد كان فى هذه الازقة شاب ظاهر الغباوة والبله ، خفى المكر والغدر ، شديد البأس والبطش ، يخيف من ليس من شأنه ان يخاف ، ويضطر اثبت الناس قلبا وأشدهم استهزاء بالحياة الى أن يعدو عدو الشنفرى وتأبط شراً وابن براق ، حتى يدفع الى دار من الدور ، ثم الى بيت من بيوت هذه الدار ، فلا يدخل هذا البيت من بابه كما أمر الله أن تؤتى البيوت ، وانما يدخله من إحدى نوافذه . وفى هذه الازقة شيخ وقور ، ظاهره يخيف ، وباطنه فيه الرحمة واللين ، وفيه الرفق والدعة ، وفيه الادب وحسن الذوق

كل هذه الأشياء ، وكل هؤلاء الأشخاص ، يمكن أن تضاف ويمكن أن يضافوا الى هذه العنوانات التى قدمتها بين يدى هذا الكلام ، ولكنى لم أضفها تحرجا من الاطالة واشفاقا من الاطناب ، وايثاراً للايجاز البليغ .

وأنا أستطيع بعد ان وضعت هذا العنوان وأتبعته بهذا الكلام ، أن أتحول بك الى ما شئت أنت أو ما شئت أنا من الموضوعات ، فأتحدث اليك فيه حديثا طويلا أو قصيراً ، وأعرض عليك فيه صوراً جميلة أو دميمة ، وأثير فى نفسك به عواطف هادئة أو جامحة ، وأرسم على وجهك به ابتساما وضحكا ، أو عبوسا وتقطيبا ، حتى اذا بلغت من هذا كله ما تريد أنت ، أو ما أريد أنا ، أو ما نريد جميعا ، ذكرت النقد والطربوش وزجاج النافذة . واعتقدت أنا أو خيلت اليك انى أعتقد ، واعتقدت أنت أو خيلت إلى انك اعتقدت ، واعتقد صديق الاستاذ المازنى ، أو خيل الى نفسه والينا أنه يعتقد ، انى قد أمتعت الرسالة وقراء الرسالة بفصل قيم أو غير قيم ، قوامه الحديث عن النقد والطربوش وزجاج النافذة ! .

وتسألنى مابال الاستاذ المازنى يقحم هنا اقحاما ، وما خطبه مع النقد والطربوش وزجاج النافذة ومرق الفول النابت ، وماء المخلل ، وما يتبع هذا كله من الأشياء والأحياء ؟ فاجيبك بأن هذا السؤال لا ينبغى أن يساق الى ، وانما ينبغى أن يساق الى الأستاذ المازنى ، فهو الذى تحدث عن هذا كله ، وهو الذى أثارنى إلى أن أتحدث عن هذا كله ، وليس من شك فى أن الأستاذ المازنى سيقول فى دعابته الحلوة الظريفة ، وما أنت وجر الشكل ، وما لك تدخل بينى وبين النقد والطربوش وزجاج النافذة ، وما يتصل بها من الملحقات ؟ ولكن الأستاذ يوافقنى أو لا يوافقنى — فهذا سواء — على أنه صاحب فن ، وعلى أن أصحاب الفن ان كتبوا لأنفسهم فهم ينشرون للناس ، وعلى أن صاحب الفن لا يملك أثره الفنى بعد أن يلقيه إلى الناس . وعلى أن من حق الناس اذا ألقى اليهم شىء أن يتناولوه كما يحبون ، يعجبون به أو يسخطون عليه ، يرغبون فيه أو ينصرفون عنه ، يحمدونه أو يسلطون عليه اللوم .

وإذن فقد ألقى الينا الأستاذ المازنى فصله الممتع البديع الذى أثارنى الى أن أتحدث اليك عن النقد والطربوش وزجاج النافذة ، أو الى أن أتحدث اليك عن الأستاذ المازنى نفسه من وراء هذه الأشياء التى لا تحصى ، والتى لا أكره تكرارها ، وما أظنك تكره تكرارها ، وهى النقد والطربوش وزجاج النافذة والأزقة وما يتراكم على أرضها من الوحل ، وما تصبه سماؤها من السائل والجامد ، ومن يمشى بين ذلك من الأشرار والأخيار .

وللاستاذ المازنى مع هذه الأشياء كلها ، ومع هؤلاء الناس كلهم ، ومعك أنت ، ومعى انا ، قصة طريفة ظريفة ، خليقة أن

تقص ، وخليقة أن تثير الاعجاب . فهل تدرى ماذا دفع الاستاذ المازنى الى أن يتحدث عن هذه الاشياء ، وعن هؤلاء الاشخاص ، فيثيرنى الى أن أتحدث عنه ، وعنها ، وعنهم ؟ هو شىء يسير ، يسير جدا ، هو أنه أديب يقرأ فى الكتب ، ويكتب فى الصحف ، وينقد الكتاب والمؤلفين . وقد تتغير الازمنة وتتبدل ظروف الحياة وترقى الاجيال بعد انحطاط ، ولكن هناك شيئا لا يتغير ولا يتبدل فى حقيقة الأمر ، وهو أن الأدب محنة يمتحن بها الأدباء ، ونقمة يصيب الله بها هؤلاء الذين يمنحهم شيئا من حسن الذوق والقدرة على فهم الأدب وتقريبه الى الناس . وقد امتحن الله صديقنا المازنى ووفر له من نقمة الادب وبلائه حظا عظيما ، فجعله شاعرا مجيدا وكاتبا بارعاً ، وناقدا مسموع الكلمة ، مهيب الجانب ، مقدور الرأى ، لا يصدر كتاب الا أراد الناس أن يعرفوا رأيه فيه وحكمه عليه . وكان صاحب الكتاب نفسه أحرص الناس على ذلك وأشدهم طلبا له والحاحا فيه . والكتب تمطر على الاستاذ المازنى ، ويمطر معها طلب النقد وطلب التقريظ ، والنقد والتقريظ يحتاجان الى القراءة والدرس . واذن فالمازنى المسكين مصروف عن نفسه وعن فنه وعن كتبه ، الى هؤلاء الناس الذين يكتبون ، والى هؤلاء الذين يقرأون . ومن هنا ومن جهات أخرى أيضا كان المازنى شقيا بالادب ، وأن كان الادب سعيدا بالمازنى ، وأى دليل على شقاء المازنى بالادب وسعادة الادب بالمازنى ، أقوى من هذه القصة التى أحدثك عنها الآن ؟

فقد اخرج كاتب من الكتاب كتابا من الكتب ، واهداه الى الاستاذ بالطبع . وعرف الناس أن هذا الكتاب قد أهدى اليه فأخذ الناس ينتظرون ، وأخذ صاحب الكتاب بنوع خاص ينتظر ، فلما طال الانتظار كان الطلب ، ولما كان الطلب ولم يجد شيئا كان الالحاح . واضطر المازنى الى أن يذعن ، وأكره المازنى على أن يكتب ، ولكنه كان قد أرسل الكتاب الى من يجلده . فلما اشتد عليه الالحاح ذهب فى طلب الكتاب من المجلد . فدفع الى رحلة غريبة ، والى استكشاف أغرب . دفع من هذه الاحياء المتحضرة التى تتسع فيها الشوارع ، وتجرى فيها السيارات ، وتنتشر فيها الشرطة ، والتى لا تتغطى ارضها بالوحل ، ولا تمطر سماؤها مرقا ولا مخللا ، الى أزقة ضيقة ملتوية فاسدة الهواء ، تعيش فيها أجيال من المردة والشياطين ، وفى هذه الازقة عرف المازنى الخوف والفرق ، وعرف الهرب والغلو فيه ، وعرف كيف يكون وقع الاحجار على الاجسام ، وكيف يكون وقع الشتائم فى النفوس . ثم عرف كيف يفقد الناس طرابيشهم ، وكيف ينظرون اليها وهى تهان وتمرغ فى الوحل تمريغا ، ثم عرف كيف يدفع الهاربون الى اقتحام الدور والاستخفاء فى البيوت وقد غاب عنها اهلها . ثم عرف قصة الرجل الذى ذهب يطلب كتابا ففقد طربوشه وعاد صفر اليدين .

والغريب ان هذه الرحلة الهائلة وما امتلأت به من الاخطار كانت كلها فى القاهرة ، وفى ساعات قصيرة ، ولست أدرى فيم يحتاج الذين يحبون الاخطار الى التماسها فى الصحراء او فى الجبال او على البحر والمحيط ، مادام الانتقال من حى من أحياء القاهرة الى حى آخر ، خليقا ان يرينا من الهول والخطر مثل ما رأى صديقنا الكاتب الاديب

ومن هنا نستطيع أن نفهم ضيق المازنى بالأدب والأدباء ، وبالكتب والمؤلفين وتضرعهم المتصل الى الله أن يعفيه من هذه الصناعة التى يشقى بها ، ولكنها تسعد به وتسعد الناس أيضا . ولكن الاستاذ المازنى يتساءل فى شىء من الحيرة : أيجب أن يقرأ مايريد هو أم يجب أن يقرأ ما يريد الناس ؟ واذا سمح لى بأن أجيبه فانى أرى أنه ملزم بان يقرأ مايريد ، وبأن يقرأ مايريد الناس ، مادام قد أقبل على صناعته هذه راضيا بها أو مكرها عليها ، ولكن السؤال الذى أحب أنا أن أسأله هو . هل يظن الاستاذ المازنى أنه أبرأ ذمته امام القراء وامام المؤلف بهذا الفصل البديع الذى كتبه منذ ايام ، فحدثنا فيه عن النقد والطربوش وزجاج النافذة ، وعما تحمل الارض من وحل ، وما تمطر السماء من مرق ؟ فان كان يظن أنه قد أرضى قراءه وصاحبه بهذا الفصل فقد أصاب وأخطأ فى وقت واحد . أصاب لأن الفصل بديع ، وأخطأ لأنه لا يغنى من النقد شيئا ، فلن يعفيه صاحب الكتاب من الالحاح عليه ، ولن يدعه حتى يقول إنه قد قرأ هذا الكتاب فرضى عنه أو سخط عليه .

وسؤال آخر ، أحب الا يغضب صديقى المازنى حين أسوقه اليه . ما باله يطغى على نفسه ويسرف عليها فى الطغيان ، ويصورها هذا التصوير الذى لا يلائمها بحال من الاحوال ، والذى لا نحبه لها ؟ فهل من الحق أنه هياب الى هذا الحد ؟ كلا ، ولكنه يحب أن يعبث بنفسه فيسرف فى العبث ، وأكبر الظن أننا ان حدثناه فى ذلك ضاق بنا وضجر ، وشكا من هؤلاء الطفيليين الذين يدخلون بين الناس وبين انفسهم ، وقال اذا لم يكن لى الحق فى أن اعبث بنفسى فلمن

(البقيـة على صفحة ٥٢٠)

والراديو أخيراً !

للأستاذ احمد أمين

نشأت فى حى وطنى ، لم يأخذ من المدنية الحديثة بحظ قليل ولا كثير ، يعيش أهله عيشة وادعة هادئة بطيئة ، لم تتغير عن معيشة القرون الوسطى إلا قليلا ، ولم تنقطع الصلة بينهم وبين آبائهم وأجدادهم ، اذا عرضت عليهم صفحة من حياة مصر قبل بضع مئات من السنين فهموها حق الفهم ، وقرأوها فى أنفسهم وفى معيشتهم ، فكانت الصلة بينى وبين سكان القاهرة فى عهد الفاطميين أو الأيوبيين أو المماليك أقرب من الصلة بين ابنى وعهد اسماعيل . فالحياة فى السنين الأخيرة غيرت سكان المدن تغيراً كبيرا ، ونقلتهم نقلة مفاجئة سريعة ، حتى ليحملق الطفل فى عينك استغراباً إذا حدثته بحديث يتصل بالحياة الاجتماعية فى عهد جده أو جدته ، ويرى كأن الدنيا خلقت خلقاً جديدا .

كانت حارتنا تمثـــل طبقات الشعب المختلفة ، يسكنها البائع المتجول ، يظل نهاره وشطراً من ليله متنقلا فى الحارات والشوارع ، ينادى على البلح فى موسم البلح ، والخيار فى موسم الخيار . وأسرته وأقاربه يعيشون جماعات فى بيت كبير عيشة بائسة تعسة ، كل جماعة فى حجرة .

وطائفة من الموظفين من رئيس قلم فى وزارة الأوقاف ، وكاتب فى وزارة الأشغال يمثلون ، الطبقة الوسطى فى حياتهم الاجتماعية والمدنية .

وبيت أرستقراطى واحد كان ربه نائب المحكمة الشرعية العليا ، وكان متقدماً فى السن ، عظيم الجاه ، وافر المال ، له الخدم والحشم ، ويرهبه الكبير والصغير ، وله عربة فخمة ، تضرب خيولها الأرض بأرجلها فتملأ القلوب هيبة ، وكان كل سكان الحارة يسمونه «الشيخ» من غير حاجة الى ذكر اسم ، فالشيخ ركب ، والشيخ جاء ، وعند بيت الشيخ — وكان الشيخ نعمة على الحارة ، فلا تستطيع امرأة أن ترمى ماء قذراً أمام بيتها خوفاً من الشيخ ، ولا يستطيع قوم أن يرفعوا أصواتهم فى السباب والنزاع خوفاً من الشيخ . ولذلك امتازت حارتنا من مثيلاتها ومما يجاورها بالنظافة والهدوء .

كان بين سكان الحارة رابطة تشبه الرابطة بين أفراد القبيلة ، يعتز الأولاد بحارتهم ويهتفون بها فى النداء ، ويكون بينهم وبين أولاد الحارة الأخرى منافرة فيحتكمون الى القوة ، ويعتزون بالناشىء الشجاع يظهر بينهم يذود عنهم ، ويجلب الفخر لحارتهم - ويرعى سكان الحارة حق الجوار بأدق معانيه ، يعودون أحدهم اذا مرض ، ويهنئونه اذا عوفى ، ويواسونه فى مأتمه ، ويشاركونه فى أفراحه ، وهم فى ذلك سواسية ، لا يتعاظم غني لغناه ، ولا يتضاءل فقير لفقره .

وكان لكل بيت من بيوت الطبقة الوسطى منظرة (مندرة) يتبادلون الاجتماع فى إحداها . فيسمرون فيها السمر الحلو اللطيف ، وأحيانا يحيون الليلة فى سماع قرآن أو حفلة طرب ، ولحسن حظى كان بجوار بيتنا موظف فى الأوقاف يهوى الناى ويتقنـــه ، فكان كثيراً ما يحيي أصدقاؤه فى منظرته حفلات شيقة بديعة ، اليها يعود الفضل فيما لى من أذن موسيقية وميل لسماع الغناء والافتتان به .

***

كان من المناظر التى لا أنساها طائفـة من الرجال ، قد لبس كل منهم على جلبابه الأزرق ميدعة من الجلد ، يحمل القربة على ظهره ويمشي بها فى ركـوع ، وهم يغدون فى الحارة ويروحون ، ينادى أحدهم بعد أن يفرغ قربته فى الزير «ســـقاعوّض» وهى كلمة كنت أفهم منها المناداة على الماء ولكن ما كنت أفهم معناها تفصيلا . بل ربما لم أفهمه الى الآن . فاذا سمعته سيدة أطلت من الشباك وأمرته أن يأتى لها بقربة حلوة أحياناً ، ومالحة أحيانا ، وربما تصنعت فى مناداتها فرققت من صوتها ، وتدللت فى نغمتها ، فكانت فتنة للسامعين .

وكثيراً ما طال النزاع بين السقا وربة البيت : فهو يقول ان القرب صارت سبعا وهي تأبى الا ستا ، ويطول الحوار والجدل والقسم بالايمان ، وأحيانا يتفادى السقا هذا الجدل بطريقة من طريقتين . إحداهما أن يوزع خرزا من نوع خاص على صاحبة البيت عشرا عشرا ، أو عشرين عشرين وكلما أتى بقربة أخذ خرزة . فاذا فرغ الخرز علم أنه تم العدد فأخذ حسابه . وثانيتهما انه كلما أتى بقربة خط على الباب بحجر أبيض خطا - ولم يكن يعرف الطباشير ولا كتابة الأرقام - وأحياناً يتهم السقا ربة البيت بأنها مسحت خطا ، وأحيانا تتهمه هي أنه خط خطين لقربة واحدة ، فاذا تكرر مثل ذلك أبى السقا في معاملة هذا البيت الا أن يأخذ نصف القرش ثمن القربة الحلوة قبل أن يتحرك من مركزه أمام باب الحارة

وفي يوم من الأيام حول سنة ١٩٠٠ رأيت الحارة قد مزقت وحفرت فيها الحفر طولا وعرضا ، ومُدّت المواسير وأدخلت في بيتنا الحنفية واستغنينا عن السقا ، وأراحنا الله من سماع النزاع حولنا ، وأصبح الماء في كل طبقة من بيتنا ، في أسفله وأوسطه وأعلاه ، وشعرت أن البيت قد دبت فيه الحياة . فالله يقول « وجعلنا من الماء كل شيء حي » وما أنس لا أنس خادما أتت منزلنا اذ ذاك من قرية من قرى الفلاحين فعَجِبَتْ أشد العجب من الماء يخرج من الحائط ثم لا ينقطع الا اذا شئنا ، وحارت في تعليل ذلك ، وأظنها حائرة الى اليوم ان كانت على قيد الحياة .

***

وألفنا الماء يخرج من الحائط ، وذهب الألف بالعجب ، ولكن ظللنا نستضيء بالجاز ، وهو مايسميه سادتنا العلماء زيت البترول ، وكان لمضايقاته أشكال من العذاب وألوان ، فيوما ضُربتُ لأني أرسلت لأشتري زجاجة لمبة فكسرت مني في الطريق ، وكثيرا ما فسد مفتاحها فاذا أدرناه يمينا أخذ يرتفع اللهب ثم يرمينا بالهباب ، واذا ادرناه شمالا أخذ يهبط حتى لانرى ، وهكذا دواليك ، حتى يضيق الصدر ونذهب الى النوم قبل الموعد - وكثيرا مانكون في سمر لذيذ أو حديث ظريف أو قراءة مُلِحة ، ثم نسمع الزجاجة كسرت فينكسر قلبنا لأن الوقت ليس وقت بيع وشراء ، أو ننظر فاذا الجاز قد فرغ ولا جاز لنا ! .

ثم رأينا الاسلاك تحزم البيت ، وتحزم كل حجرة فيه وتدخل بيتنا الكهرباء فندير المفتاح يمينا فتضيء الحجرة وندير شمالا فتظلم - وأبى الله الا أن يرزقنا هذه المرة أيضا بخادم خطبت في قريتها وأرادت السفر لتتزوج ، فطلبت منا ان نعطيها لمبة من اللمبات الكهربائية أو لمبتين لتنيرها في حجرتها ليلة زفافها - وكان لهذه الخادم فصل اظرف من هذا وألطف ، فقد نظرت أول ماأتت من قريتها إلى السقف فلم ترفيه عروقا تحمل ألواح الخشب (لانه كان من الاسمنت المسلح) فصعدت الى السطح لتحقق الامر لعل السقف مقلوب ، وان العروق من فوق والاخشاب من تحت ، فلما لم تر عروقا فوق ولا تحت ، أحست بالخيبة في تعليلها ، وفوضت الى الله أمرها ! . .

***

ثم دار الزمن دورته واذا بعامل يأتي ليحزم البيت من جديد ، واذا بالاسلاك تمد وعدة صغيرة تركب وجرس يدق واذا بالتليفون ، واذا بنا نتصل بمن في القاهرة وضواحيها بل بمن في أنحاء القطر ويتصل بنا من أحب ، وأحسست اذ ذاك أن البيت قد استوفى حظه من الحياة كما يستوفيها الجسم الحي الراقي من شرايين وأوردة على أدق ما تكون من نظام - وكان لي مع التليفون متاعب أود أحيانا أن لو كان لم يكن ، وأحيانا محامد احمدالله ان كان - فقد كنت قاضيا ، وبيتي وحده من بين القضاة فيه تليفون يصلني برئيس المحكمة ، فقد يتغيب قاض فجأة عن الجلسة فيدق التليفون - آلو - انتدبنا كم اليوم لمحكمة العياط ، ومرة أخرى لمحكمة الصف ، وقد يكون اليوم ثقيلا ، حر يذيب رأس الضب ، أو برد يقفّ منه الجلد - على كل حال - فكثيرا ما كان نذيرا بشر ، وكثيرا ما كان بشيرا بخير .

***

وأخيراً أتى العامل أول أمس يزيد الأحزمة حزاما ،

ولكنه فى هذه المرة حزام ناقص — خط رأسى وخط أفقى ، وآلة لا يأبه لها النظر ، وفى ذلك سر عجب ، هذا هو الراديو — فيه علم إن شئت ، وفن إن أردت ، وناطق إن أصغيت ، وساكت إن أعرضت ، ومتحدث بكل لسان ، وواصلك بكل مكان — إن شئت معلما فعلم ، أو غناء فغن ، أو فنا ففنان — يهزل حيث تحب الهزل ، ويجد حيث تهوى الجد . يمتاز عن التليفون بأن التليفون طالب ومطلوب ، فاذا كان طالبا فقد يفجعك بخبر ، أو يوقظك من نوم ، أو يحملك مطلبا يشق عليك ، أو يصلك بمحدث يثقل على نفسك ، ثم تريد أن تتخلص منه فلا تستطيع ، فقد لزم الأمر ، وحم القضاء . أما الراديو فليس الا مطلوبا ، هو عبد مطيع ، وخادم أمين . إما ساكت أو متكلم بما أحببت ، نديم ظريف ، جهينة أخبار ، وحقيبة أسرار ، ترياق الهم ، ورقية الاحزان ، قد تكون له مساو لم أتعرفها فان جربتها فسأحدثك عنها بعد .

أين أنت أيتها الخادم التى عجبت من حنفية الماء ، وأين أنت أيتها الاخرى التى عجبت من مصباح الكهرباء ، لو كنتما اليوم فى بيتنا لشاركتكما العجب ، ولوقفت معكما حائرا من العلم الحديث ، والفن الحديث ، ولانفردت عنكما بالحزن العميق على ان ليس لنا من هذه المخترعات إلا المشاركة فى الاستهلاك لا فى الانتاج ، وأننا ، فى مواسير — الماء ومصابيح الكهرباء و آلات الراديو والتليفون — وما الى ذلك من شؤون المدنية ، لنا أن نشترى وليس لنا أن نبيع ، ولنا أن نكون من النظارة ولكن ليس لنا أن نكون من الممثلين ، ولنا ان نستورد ولكن ليس لنا ان نصدر

ان كنت أيها الراديو قد دخلت البيت أخيرا فلست آخر ما يدخل ، فهم يحدثوننا عن سلك آخر سيدخل قريبا يحمل الصور كما تحمل أنت الصوت ، فان كنا الآن نسمع لك فسنسمع بعد ونرى — ومن يدرى ! لعل اسلاكا أخرى تدخل توزع الحرارة والبرودة بقدر ، واسلاكا واسلاكا — بل لعل هذه الاسلاك لا تعجب الجيل القادم فيراها بعد ان يتحرر رمزاً لعصر بغيض أولع الناس فيه بالقيود حتى سلسلوا بيوتهم بهذه السلاسل ، وسيهزأون بهذا النوع من الحياة الساذجة التى تستعين على الرغبات بالمواسير والأسلاك ، وسينظرون الينا كما ننظر نحن الى سكان ما قبل التاريخ ، وسيعجبون اذ فرحنا باتصالنا بأهل الارض مع انهم اتصلوا بأهل السماء . وستعود البيوت من غير أسلاك ، ولكنها وافية بالمطالب التى نستمتع بها ، والتى نحلم بها ، والتى لا يقدر خيالنا الآن حتى على الحلم بها ، ويخلق ما لا تعلمون .

أحمد أمين

بعض حوادث النمسا

النمسا الجمهورية فى خمسة عشر عاما

٣ — الحرب الاهلية وما بعدها

للاستاذ محمد عبد الله عنان

اخذت الحياة البرلمانية فى النمسا تنحدر منذ اوائل العام الماضى الى معترك من الصعاب والعواصف ، وألفت حكومة الدكتور دولفوس نفسها فى مازق صعب . ولم يك ثمة بد من ان تنتصر المعارضة — أعنى الديموقراطية الاشتراكية — اذا تركت الأغلبية البرلمانية فى سبيلها وخصومتها ، او تتوسل الحكومة لبقائها بوسائل أخرى . ولكن وقعت فى يوم ٤ مارس أزمة برلمانية الفت الحكومة فيها فرصتها ووسيلتها ، وذلك ان مناقشة عاصفة حدثت فى البرلمان فى ذلك اليوم حول تصرف نائب اشتراكى اتهم بانه وضع ورقتين فى صندوق التصويت ، واشتد القذف والاتهام والهرج من الجانبين ، فاستقال الدكتور رنر رئيس المجلس واستقال الوكيلان ، ومن ثم غدا انعقاد المجلس مستحيلا ، اذ لا يستدعيه للانعقاد طبقا لنص الدستور سوى الرئيس او احد وكيليه ؛ وقدمت الوزارة استقالتها للرئيس ميكلاس فابى قبولها ، وفوض لرئيسها ان يعمل بقوانين الطوارىء ، وبذا اتخذت الوزارة صبغة دكتاتورية ، واستطاعت ان تصدر بعض القوانين الاستثنائية التى رأت ان الحاجة تدعو اليها مثل رقابة الصحافة ، ومنع الاجتماعات والمظاهرات السياسية الخطرة على النظام ؛ بيد ان الوزارة مالبثت ان اضطرت ان توجه

كل جهودها لمقاومة خطر آخر . أخذ يشتد شيئا فشيئا وينذر مصاير النمسا بشر العواقب ؛ ذلك ان الوطنية الاشتراكية الالمانية أخذت منذ استيلائها على مقاليد الحكم فى ٣٠ يناير (سنة ١٩٣٣) تتدخل فى شئون النمسا بطرق ووسائل عديدة ، وبث الدعاة الهتلريون فى جميع انحاء النمسا دعوة شديدة لتحقيق مشروع الاتحاد النمسوى الالمانى (الانشلوس) . وضم النمسا لالمانيا كما نعلم غاية جوهرية من غايات الوطنية الاشتراكية الالمانية سجلت فى برنامج الهر هتلر منذ انشاء الحزب الوطنى الاشتراكى ، وعبر عنها « بتحقيق وحدة الشعوب الجرمانية » ، وقد شرحنا فيما تقدم كيف نشأت فكرة اتحاد النمسا مع المانيا وتطورت . وكانت الفكرة ماتزال قوية فى النمسا لدى الكتلة المحافظة حينما ظفرت الوطنية الاشتراكية بتولى الحكم فى المانيا ، ولم يكن يعارضها سوى الاشتراكيين الديموقراطيين ؛ ولكن السياسة العنيفة الهوجاء التى اتبعتها حكومة برلين ازاء النمسا ، كانت كما قدمنا سببا فى انهيار مشروع الوحدة ، وكشف عدوان الوطنية الاشتراكية وصلفها وتجنيها فى الحال للشعب النمسوى عن فداحة الخطر الذى يهدد استقلاله وكيانه ، وأيقن ان هذه الوحدة لاتعنى فى نظر برلين سوى خضوعه وعبوديته ، وثارت حكومة فينا ومن ورائها الشعب كله ضد هذا التجنى ، وابدى الدكتور دولفوس حزما وصرامة فى قمع الدعوة الوطنية الاشتراكية التى تنظمها حكومة برلين وتمدها بالمال والنصح ، وأجاب الهتلريون بتدبير سلسلة من الاعتداءات والحوادث الجنائية ، ولا سيما فى فينا وسالزبرج (شهريونيه) . وأجابت حكومة برلين على ذلك بمنع السياح الألمان من زيارة النمسا ، وفرضت غرامة فادحة للتصريح بهذه الزيارة ، وساءت العلائق بين فينا وبرلين الى أعظم حد ، وشغلت وزارة دولفوس بذلك الخطر الجديد الذى يهدد أمن النمسا وسلامتها ، ولم تدخر وسعاً فى مقاومته ، وأيدها فى ذلك خصومها الديموقراطيون الاشتراكيون لأنهم أدركوا الخطر الذى يهدد الديموقراطية إذا ظفرت الوطنية الاشتراكية فى النمسا ؛ وعمد الدكتور دولفوس إلى العمل السياسى ، فزار رومة ولندن وباريس ليثير قضية النمسا باعتبارها مسألة أوربا الوسطى ، وليبين ان استقلالها مسألة دولية تهم قضية السلام الاوربى كله ؛ فنجحت مساعيه فى هذا الشأن ؛ واستطاع أن يغنم مؤازرة دول الحلفاء ضد السياسة الألمانية ، وأن يحصل على تعديلات هامة فى النصوص العسكرية لمعاهدة سان جرمان ، إذ سمح للنمسا أن تزيد جيشها ووسائلها الدفاعية ؛ وتولى الجنرال فاوجوان وزير الحربية وزعيم الحزب المسيحى الاشتراكى (بعد وفاة المونسنيور سيبل) تنظيم القوات الجديدة ، ونظم قوات الهايمفر أيضا لتعاون فى تأييد النظام ، واستطاع الدكتور دولفوس بكثير من الحزم والشجاعة والجلد أن يحبط تحريضات الدعوة الألمانية ودسائسها ، وكاد يفقد حياته فى ذلك السبيل ، اذ أطلق عليه الرصاص من أحد الدعاة الهتلريين وأصيب اصابة خطيرة (فى ٣ اكتوبر) ولكنه نجا ، ولم يزده الاعتداء سوى شجاعة وإقدام فى مقاومة الخطط والدعوات الهتلرية ومطاردة أنصارها فى جميع انحاء النمسا .

* * *

فى أثناء هذا الصراع كانت الديموقراطية الاشتراكية ترقب مجرى الحوادث . وكانت الخصومة الخالدة بين الديموقراطية والكتلة المحافظة (الاشتراكيين المسيحيين والهايمفر) ما تزال قائمة ، ولكن الديموقراطيين الاشتراكيين كانوا يؤيدون الحكومة فى قمع الدعوة الوطنية الاشتراكية ، ويشتركون معها فى خصومة الجبهة النازية (الوطنية الاشتراكية) لأنها خطر فادح على مثلهم وكيانهم ، بيد أنهم لم يهادنوا الحكومة فى غير ذلك ، ولم يتركوا فرصة لمعارضتها والعمل على اسقاطها ؛ وكانت الحكومة من جانبها تخشى خطط الديموقراطية ومفاجآتها ، خصوصا مذ تذرعت بالسلطة الدكتاتورية ، ورفضت اجراء الانتخابات واعادة الحياة النيابية . كانت المعركة دائمة مستمرة بين الجبهتين اللتين تشغل خصومتهما حياة الجمهورية منذ قيامها ، ولكنها كانت فى الأشهر الأخيرة معركة تربص وأهبة ، وكان من الممكن بل من الطبيعى أن يقع الصدام بينهما من آن لآخر ، كما وقع دائماً خلال الأعوام الأخيرة ، بيد أنه لم يكن يتوقع أحد أن تضطرم بينهما معركة الحياة والموت فى مثل هذه الظروف العصيبة ، ولم يكن يتوقع أحد بالأخص أن تلقى الديموقراطية النمسوية حتفها فى تلك المعركة وأن تختفى من ميدان الحوادث بمثل هذه السرعة .

ولقد شهدنا منذ أسابيع قلائل فقط تلك المعركة الهائلة وتتبعنا حوادثها السريعة بمنتهى الروع والدهشة ؛ كانت مفاجاة لم تتضح حتى اليوم ظروفها وبواعثها الحقيقية . ونكتفى بان نقدم هنا خلاصة

وجيزة عن تلك الحوادث التى لاتزال ماثلة فى الاذهان : فنى ظهر يوم الاثنين الثانى عشر من شهر فبراير ، ذهبت سرية من رجال البوليس لتفتش دار العمل (مركز الديموقراطيين الاشتراكيين) فى مدينة لنتز عاصمة النمسا العليا ، فاطلق الجند الديموقراطيون (الشوتسبند) النار على البوليس والقوا عليه القنابل ، فقتل عدة من رجاله ؛ فارسلت الحكومة فى الحال عدداً كبيراً من الجند ، ونشبت المعركة الاولى فى لنتز بين الديموقراطيين وجند الحكومة ، والظاهر أن هذا الحادث الأول كان ايذانا بنشوب المعركة العامة . فنى نفس الوقت قطع العمال فى فينا التيار الكهربائى فعطلت المواصلات ، وأعلن الاعتصاب العام ؛ وكان ذلك بدء الحرب الاهلية فاعلنت الحكومة القانون العسكرى وحشدت القوات بسرعة البرق فى كل ناحية ، ولم يأت المساء حتى كانت مدينة فينا تضطرم بلظى معارك هائلة ؛ وتحصن رجال الشوتسبند فى مساكن العمال الكبرى ، ولا سيما فى كارل ماركس هوف ، وأوتاكرنج وسيمرنج وفلوريتسدورف ، وغيرها من ضواحى المدينة الآهلة بالعمال ، وأصلوا جند الحكومة وابلا من الرصاص والقنابل ، واطلقت قوات الحكومة المدافع الكبيرة على معاقل الاشتراكيين ؛ واستمرت المعارك فى اضطرامها وشدتها حتى يوم الاربعاء . ووقعت مثل هذه المعارك فى عدة مدن فى الاقاليم ، ولا سيما بروك وشتير وجراتز واشترك جنود الهايمفر مع قوات الحكومة ؛ وأبدى الاشتراكيون شجاعة وبسالة نادرتين فى الدفاع عن معاقلهم وأنفسهم ؛ واستعملت الحكومة منتهى الشدة والعنف ؛ وقبضت على الموظفين الاشتراكيين وعلى أعضاء المجلس البلدى ؛ وقررت حل الحزب الاشتراكى الديموقراطى ومصادرة مراكزه وأوراقه وأمواله وصحفه وكل مؤسساته ، وصدرت أحكام الاعدام ونفذت على كثير من الاشتراكيين ، ولم يأت مساء الخميس ١٥ فبراير أى لرابع يوم فقط من بدء القتال حتى كانت قوى الاشتراكية الديموقراطية قد حطمت فى كل ناحية ، وغدت فلولا ممزقة ؛ وقبض على عدة من زعمائها مثل رنر وسايتز وسفر ، وفر الزعيمان باور ودينش الى تشكوسلوفاكيا ؛ وانتهت تلك المأساة الدموية بمقتل الفين وجرح آلاف من الجانبين ؛ واختفت الديموقراطية الاشتراكية من الميدان ، واختتمت حياتها القوية الحافلة بسرعة ، وقضت الكتلة المحافظة (الاشتراكيون المسيحيون والهايمفر) على خصومها الخالدين لتنفرد بالاشراف على مصاير النمسا

***

ولقد كان سحق الديموقراطية عملا فى منتهى الجرأة والخطورة من جانب الدكتور دولفوس وزملائه وخصوصا لما اقترن به من العنف والضحايا الفادحة . ومن الصعب أن نقول اليوم كلمة حاسمة سواء فى المسئولية أو النتائج ؛ فاما من حيث المسئولية فان حكومة فينا ترجعها جميعا الى الاشتراكيين ، وتقول انه يبدو من اضطرام الثورة فى معظم انحاء النمسا فى وقت واحد ، ومن شدة المقاومة التى بذلها الاشتراكيون ، ووفرة الاسلحة والذخائر التى وجدت لديهم ، ومناعة الابنية التى اعتصموا بها ، أن الثورة كانت مدبرة ، وأن الديمقراطية الاشتراكية كانت تتأهب للقيام بضربة عنيفة للاستيلاء على مقاليد الحكم ؛ بيد أنه يقال فى ذلك أيضا إن الحكومة دلت على مثل هذه الأهبة ، وأن ما أبدت من الشدة والعنف فى قمع الحركة ، ومن قسوة وافراط فى إراقة الدم ، ومن تصميم على سحق الديمقراطية الاشتراكية لا لإخضاعها فقط ، يدل على انها عملت بتدبير وقصد ؛ وتتهمها بعض الدوائر الخارجية فوق ذلك بانها كانت تعمل فى ذلك بوحى من السياسة الايطالية . واما من جهة النتائج فان الديمقراطية الاشتراكية كانت سندا قويا للحكومة فى كفاحها ضد الدعوة الهتلرية ، وكانت بطبيعتها هى الصخرة التى تتحطم عليها محاولات الوطنية الاشتراكية الالمانية ، فالآن وقد سحقت ، فانه يخشى أن لا تستطيع الكتلة المحافظة أن ترد بمفردها عدوان السياسة الالمانية ، ومحاولات دعاتها فى الداخل ؛ واختفاء الديمقراطية الاشتراكية من الميدان يشجع الحركة الفاشستية على الظهور ، وقد اشتد ساعدها الآن بالفعل واضحى لانصارها « الهايمفر » كبير نفوذ وسلطان فى الحكم وفى تسيير الشئون العامة ، والهايمفر يملون اليوم ارادتهم على حكومة فينا ، وليس بعيدا أن يتحركوا غدا لانتزاع الحكم . بيد أن « الهايمفر » مازالوا يؤكدون خضوعهم للدستور وولاءهم للحكومة ؛ وقد نفوا غير مرة بلسان زعيمهم البرنس شتارهمبرج ما ينسب اليهم من التأثر بوحى السياسة الايطالية ؛ وصرح البرنس شتارهمبرج غداة سحق الاشتراكية ، بان الفاشستية النمسوية تقتبس حقيقة من مبادىء الفاشستية الايطالية ولكنها ليست مقلدة عمياء ، بل هى تفكر وتعمل طبقا لظروف النمسا وحاجاتها ؛ ولخص برنامج حزبه فقال : ان الهايمفر ابعد ما يكون عن فكرة ارهاق الطبقات العاملة ، ولكنهم

يعملون لجمع كلمتها حول مثل اجتماعية مشتركة ؛ والهايمفر مخلصون لمبدإ الجامعة الجرمانية ، ولكنهم أيضا مخلصون لمبدإ الاستقلال النمسوى ، ولا يقبلون بأى حال ان تبسط المانيا سيادتها على النمسا ، ولا أن تبذل النمسا ذرة من استقلالها فى سبيل ارضاء المانيا . وهم ينكرون مبادىء السياسة الهتلرية كلها لانها تنافى مثلهم النصرانية . هذا وليس هنالك فى الآونة الحاضرة ما يدل على أن الهايمفر يفكرون فى القيام بأية حركة لمقاومة الحكومة ، وكل ما هنالك بالعكس يدل على أن التفاهم تام بين الفريقين .

وقد اتخذت مسألة استقلال النمسا عقب الحوادث الاخيرة أهمية خاصة ، ولا سيما لما تبين من أن النازى النمسويين (الوطنيين الاشتراكيين) ، سواء داخل النمسا أو فى المانيا حيث يحتشد منهم عدة آلاف يتربصون الفرص لتنفيذ خطط حكومة برلين ، ويدبرون الوسائل لاحداث انقلاب يمكنهم من انتزاع الحكم . وحكومة برلين هى التى تقوم فى الواقع بتنظيم هذه الحركة كلها ، وقد انتدبت لذلك عدة من الدعاة والمحرضين على رأسهم الدكتور هابخت ، وحشدت من اللاجئين النمسويين قوة عسكرية كبيرة تهدد من آن لآخر باقتحام الحدود والزحف على فينا . وقد غدت مسألة استقلال النمسا مسألة دولية ، وانتهت المساعى التى بذلتها حكومة فينا فى ذلك السبيل بأن اعلنت ايطاليا وفرنسا وبريطانيا العظمى فى تصريح رسمى بانها ترى وجوب المحافظة على استقلال النمسا كشرط لاستتباب السلم فى أوربا ، وابدت ايطاليا اهتماما خاصا بمقاومة مشاريع السياسة الالمانية لانها تهدد سلامة حدودها الشمالية ومصالحها فى اوربا الوسطى ، وتوترت العلائق من أجل ذلك بين المانيا وايطاليا . وانتهت الجهود التى بذلها السنيور موسولينى فى ذلك السبيل بأن عقد أخيرا فى رومة ميثاق سياسى إقتصادى بين ايطاليا والنمسا والمجر يرمى الى توحيد الجهود السياسية والاقتصادية بين الدول الثلاث فى سبيل رد أى اعتداء يوجه الى حقوقها أو مصالحها .

وكان من أثر ذلك أيضا أن قويت الدعوة الى اعادة الملوكية فى النمسا كوسيلة لتقوية استقلالها والقضاء على اسباب الخلاف الداخلى فيها ، وليس فى معاهدة الصلح (سان جرمان) ما يمنع عودة آل هبسبورج الى النمسا وعودة العرش النمسوى ، ولكن الحلفاء كانوا يعارضون دائما فى هذا العود ، بيد أن الفكرة تلقى اليوم قبولا فى كثير من الدوائر التى كانت تنكرها من قبل ، وقد نشطت هذه الدعوة اخيرا فى النمسا ، واقيمت عدة اجتماعات من أنصار الملوكية تحت رعاية الحكومة ، وقيل إن الرئيس ميكلاس ينوى الاستقالة من منصبه قريبا ليمهد الى هذا العود ، ولا يوجد فى النمسا من يعارض الفكرة الآن بعد ذهاب الديموقراطية الاشتراكية ؛ وهى بالعكس تلقى تأييدا من الحزب المسيحى الاشتراكى (حزب الحكومة) ومن حلفائه الهايمفر . ويرى أنصار الفكرة أن عود الملوكية خير وسيلة للقضاء على مشاريع السياسة الالمانية فى ضم النمسا (الانشلوس) وأما فى الدوائر الخارجية فان ايطاليا وفرنسا اللتين كانتا تعارضان من قبل فى هذا العود أشد المعارضة ، لا تريان اليوم بأسا منه ، وفى وسع فرنسا أن تذلل معارضة حليفتها تشيكوسلوفاكيا وفى وسع ايطاليا أن تذلل معارضة صديقتها المجر ، وعندئذ تغدو مسألة عود آل هبسبورج الى عرش النمسا مسألة تخص النمسا وحدها ، وتتوقف على ارادة الشعب النمسوى وحده ؟

« تم البحث »

محمد عبد الله عنان

التفاؤل والتشاؤم

وهل لهما أسباب تاريخية؟

بعض غرائب الخرافات عند الغربيين والشرقيين

— ٤ —

الملح

من الخرافات أو بالأحرى من العادات السائدة التي نشترك نحن والمتوحشون فيها عادة أكل الخبز والملح فنتفاءل من الملح لأنه علامة الولاء والصداقة والأخاء .

وفي مصر عادة ، وهي أنه اذا وقع طفل على الأرض رشوا في المكان الذي وقع فيه شيئا من الماء مذابا فيه الملح . وهذه العادة شائعة بعض الشيوع حتى اليوم بين الطبقات المتوسطة والوضيعة

ويتوهم الفرنجة أنه اذا حدث لاقدر الله وانقلبت المملحة على مائدة الطعام كان ذلك نذير شؤم ، الا اذا اخذ احد أصحاب البيت شيئا من الملح المقلوب على طرف ملعقة والقاه من فوق كتفه اليسرى وهو ينطق بكلمة « ستستروم » .

وان اهل العصور الغابرة كانوا اذا أرادوا هدم بناء لتطهيره من دنس أو لعنة رشوا على ارضه الملح قبل ان يشيدوه ثانية .

ويقول التاريخ أن امرأة لوط تحولت الى تمثال من ملح ، ويقال ان الأقدمين كانوا يعاقبون أرقاءهم المكلفين بنقل الملح بالاعدام لو سقط منهم شيء منه على الأرض .

ويذكر كذلك أيضا أن بعض حكومات أوربا كانت توزع الملح مجانا على الأسر التي لا يزيد عدد افرادها على اثنى عشر شخصا ، ويعتقد نساء الفرنجة أن سقوط الملح على الأرض نذير شؤم وسوء .

أما أصل هذا الاعتقاد فيرجع الى تأثير الملح في حياة الانسان وغذائه ولأن الملح كان من اندر الاشياء وجودا عند المتوحشين وانهم مولعون به ، يقفون الخصام أحيانا لكي يقايضوا بأي شيء لاجله . يذهب احدهم الى تخوم القبيلة الأخرى فيضع ماعنده من سلع ثم يتركها ويعود في اليوم التالي فيجد بدلا منها ملحا يحمله الى أهل قبيلته ، وقد كان القدماء يحتاجون إلى الملح اكثرمنا لان معظم قوتهم كان من النبات لا من الحيوان . ولذلك كانوا إذا اكرموا ضيفا قدموا له أشهى ماعندهم للنفس وأغلى مايمكنهم الحصول عليه وهو الملح ، وبقيت هذه العادة الى وقتنا هذا ، وكذلك لأنه يستعمل في كثير من الأحوال الدينية عند المسيحيين ، فهم يذيبونه في الماء المقدس وكذلك يضعون قليلا منه على طرف لسان الطفل في حفلة العماد .

الخبز المرتد

من الخرافات التي شاعت في فرنسا أن الفرنسيين يتشاءمون من أكل الخبز المرتد الى المخبز ، وذلك أن الخبازين كانوا يحجزون للجلادين خبزهم الخاص بهم ويضعونه في مكان منعزل ، فاذا اتم العامل صنعه أخذه صاحب المخبز ووضعه في مكانه الخاص ريثما يأتي الجلاد فيأخذه ، وكان هذا الخبز يسمى الخبز المرتد .

السن

من الخرافات الفاشية أن يرمى الفتى سنه في عين الشمس من وراء ظهره .

وأن بعض طلبة جامعات أمريكا وأوربا الى يومنا هذا يحتفظون بضروس العقل المقلوعة في جيوبهم ويحرصون على حملها معهم الى قاعة الامتحان في نهاية كل عام .

أما عادة إلقاء السن في عين الشمس فمعروفة عند العرب ، وقد ذكرت في أشعارهم ، كما هي معروفة عند فتياننا وفتيان الغربيين ، بل وفتيان المتوحشين . ومن عادات هؤلاء أن يأخذ الوالد سن ولده فيضعها في أصل شجرة كبيرة ويدعو لولده بأن يبلغ في الرفعة والقوة مثلما بلغت هذه الشجرة ، ومن عاداتهم أيضا أن ينزعوا سنا أو سنين للشاب عند مايتناول سر الرجولة أي عند مايسمح له بأفعال الرجال .

وقد تكون عادة القاء السن السائدة الآن بقية من بقايا العصور الغابرة حين كان قلع السن بشير الرجولة ، فالصبي يتفاءل بقلع سنه كأنه يرى في ذلك دليلا على انه اقترب من الرجولة ، وقد يتساءل القارىء الآن : لماذا يقلع رجال القبيلة سنا أو سنين للشاب الذي يريد الدخول في زمرتهم ؟ والجواب أن هذا القلع يجري على سبيل تجربة الشاب من حيث القدرة والجلد على تحمل الآلام .

يتبع ابراهيم تادرس بشاي

في علم النفس

الاحلام والتحليل النفسى

بين فرويد وابن سيرين

للدكتور عبد الفتاح سلامه

إن الذى حدا بى الى البحث عن الأحلام وما تدل عليه ، هو فى الواقع رغبتى فى إظهار فضل ابن سيرين على هذا الفن الذى يدعى فرويد Freud أنه هو الذى أنشأه وأوجده ، فى حين أنه لم يصل الى شهرته العظيمة فى التحليل النفسى إلا بعد أن ترسم خطى ذلك المفسر العربى العظيم واقتفى أثره .

فتفسير الأحلام والتحليل النفسى هو فى رأيى من عمل الأقدمين ، وإذا قلت الأقدمين فانى أقصد بذلك الشرق ، وهو لا يمت الى الغرب بصلة ، اللهم إلا صلة النقل ومحاولة فهمه والاستفادة منه .

ولا بد لى قبل الموازنة بين ابن سيرين وفرويد من أن أشرح نظرية فرويد فى تكوين الرؤيا وكيف يتصدى هو الى تفسيرها . وكذلك سأشرح رأى ابن سيرين وطريقته فى التفسير ، وسيظهر جليا كيف أن الأولى هى وليدة الثانية إن لم تكن هى هى مع قليل من التحوير ، وسأبين أيضاً كيف تدل الرؤيا على حوادث المستقبل فى بعض الأحيان .

تتلخص نظرية فرويد فى أن الرغبة أو الأمل الذى لم يتحقق هو الذى ينبه العقل الى العمل والتخيل أثناء النوم ، وتكون النتيجة أن العقل يتخيل أن رغبته قد تحققت ، أو بمعنى آخر فان الرؤيا قد تعتبر حارساً للنوم ، وظيفته أن يجعل النوم هادئاً مطمئنا ، لأنها تخيل الى الانسان أن رغبته قد تحققت فلا داعى اذن الى التفكير . ويقول فرويد أيضاً : إن بين رغبات الانسان مالا يتفق ونظام المجتمع فقد تتمنى نفسه شيئا محرما يقف ضميره دون تحقيقه ، فتتحين النفس فرصة يضعف فيها الضمير فتتحقق رغبتها ، ومن الناس من يضعف ضميره فى اليقظة فيحقق رغبته المحرمة بالفعل ومنهم من لا يضعف ضميره الا إذا نام إذ يتخيل تحقيق رغبته الملحة ، وذلك فى الرؤيا أى فى وقت يكون الضمير فيه نائما أو ضعيفا فلا منع أذن ولا تانيب ، ويقول فرويد إن هذه الرغبات لا يعرف الانسان عنها شيئا مطلقا مع أنها ليست غريبة عنه ، وذلك لأن الضمير يطردها من العقل الواعى أو ما يسمونه العقل الظاهر .

ومع غياب هذه الرغبات عن الوعى فهى ممثلة فى العقل الباطن ، ممثلة فيه كأفكار كامنة ، وانها سبب الرؤيا وسبب مباشر لكل الامراض العصبية التى يسميها فرويد Malanies de transfert وهو يقول ايضا إن المريض اذا صبح على بينة من افكاره ورغباته الكامنة فانه يوجه اليها قوته العقلية المميزة ويضعها فى ميزان النقد والتقدير ، وبهذا فقط يتخلص من مرضه العصبى الذى يسبب له ولأسرته كل أنواع المتاعب . هذا فى الواقع هو الذى حفز فرويد الى دراسة الاحلام لأنها فى نظره وسيلة من الوسائل التى توصل الى كشف الرغبات الخفية للنفس . وفيما يلى طائفة من الاحلام التى حللها فرويد .

١ — رأت آنسة كأن أخاها فى دولاب مقفل وكان تفسير فرويد أن الآنسة تود الا يتدخل أخوها فى شؤونها — ذلك لان وجود الأخ فى الدولاب المقفل رمز لعدم قدرته على رؤيتها ، وبالتالى رمز لعدم إمكان انتقادها أو التدخل فى شؤونها

٢ — زوجة رأت أنها اشترت ثلاث تذاكر لها ولزوجها لحضور حفلة تمثيلية وأنها اشترت هذه التذاكر الثلاث بفرنك ونصف ، وأنها اشترت التذاكر قبل ميعاد التمثيل بثلاثة أيام خوفا من نفاد التذاكر ، وأنها حضرت إلى صالة المسرح قبل رفع الستار بساعة خوفا من الزحام ، ولكنها لما دخلت مع زوجها وجدت كراسى كثيرة خالية ، وهذا معناه أنها ما كانت لتخسر شيئا لو انها لم تتعجل فى شراء التذاكر ولا فى التبكير فى الحضور ، وأخبرها زوجها وهو يلاطفها فى المسرح بأن صديقتها فلانة وزوجها قد اشتريا تذاكر ولكنهما لم يحضرا ، ولما سألها فرويد علم منها ما يأتى . صديقتها المذكورة فى الرؤيا أصغر منها بثلاثة أشهر وهى لم تتزوج الا بعد زواج صاحبة الرؤيا بعشر سنين ، ولاجل تفسير هذه الرؤيا المعقدة تجد أن فرويد قد حاول تحليلها بطريقة الرموز على الوجه الآتى

الحفلة التمثيلية رمز لحفلة الزواج ، والرقم ٣ رمز للرجل وهو الزوج فى هذه الحالة ، وإذا عرفنا أن المرأة هى التى تدفع المهر عند الافرنج وأنها اشترت ثلاث تذاكر بفرنك ونصف ، كان معنى ذلك أنها دفعت مهر زوجها رخيصا فهى غير سعيدة فى زواجها ، وما كان اسعدها لو أنها تأخرت فى الزواج كزميلتها التى تزوجت من رجل

أشجع وأحسن من زوجها وذلك بفضل تربيتها حتى جمعت مهراً لائقا برجل كريم

من هذين المثالين نرى ان فرويد قد استعان فى تحليله النفسى بالاحلام وأنه فسر هذه الأحلام بواسطة أسئلته لصاحب الرؤيا وبواسطة فكه للرموز بهذه الأحلام

أما هذه الرموز فهى موجودة ، فى اللغة ، موجودة فى الشعر موجودة فى الأمثلة السائرة ، وفى الحكم المنثورة ، وفى كلام العامة ، والخاصة وفى كل شىء . فالشمس والقمر قد يكونان رمزا للوالدين أو رمزا للملوك . وصغار الطيور قد تكون رمزا للأطفال والابناء . وهكذا يقول فرويد إن لكل أمة رموزها الخاصة وهو على حق ، لأن لكل أمة لغتها الخاصة وآدابها وأمثلتها . وبعد ، أفليست هذه الطريقة هى طريقة ابن سيرين فى التفسير وقد كان يسأل صاحب الرؤيا مليا فى النهار وهو يقول فى كتابه إن الرؤيا قد تأتى عن رغبة فى النفس كأن يرى الانسان نفسه مع من يحب أو قد يرى الأكل أمامه اذا كان جائعا ، وأما الرموز عند ابن سيرين فهى كثيرة ليس لها حصر ، وليس له مثيل فى هذا الباب وقد أخذ هذه الرموز من القرآن كالآيات الآتية

« واعتصمو بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » ، وقوله تعالى فى النساء « بيض مكنون » ، وكان يأخذ رموزه أيضا من الحديث كقول النبى صلى الله عليه وسلم « رفقا بالقوارير » يعنى النساء – وقد كان يأخذ رموزه أيضا من الأمثلة المبتذلة كقول ابراهيم لاسماعيل عليهما السلام « غير اسكفة الباب » أى طلق زوجتك وكقول لقمان لابنه « غير فراشك » يعنى زوجتك أيضا وفيما يلى طائفة من الرؤى التى فسرها ابن سيرين

١ – جاءت امرأة الى ابن سيرين فقالت : رأيت كأن فى حجرى لؤلؤتين أحداهما أكبر من الأخرى وقد طلبت أختى منى أحداهما فأعطيتها الصغرى — فقال ابن سيرين تعلمت سورتين من القرآن إحداهما أكبر من الأخرى وقد علمت أختك الصورة الصغرى

– ٢ – جاء رجل الى ابن سيرين وقال : رأيت كأن ثورا عظيما خرج من جحر صغير وأراد أن يرجع الى الجحر فلم يتمكن من ذلك . فقال ابن سيرين هى الكلمة العظيمة تخرج من فم الرجل ثم يندم عليها

وظاهر هنا ان ابن سيرين قد رمز للسورة باللؤلؤة وللكلمة بالثور وللفم بالجحر . وبديهى أنه – تمشيا مع عادته فى التفسير – قد سأل اصحاب الرؤيا عما فى أنفسهم قبل ايضاحه لهم ما تدل رؤياهم عليه . وهناك طائفة أخرى من الاحلام قد فسرها ابن سيرين وفى تفسيره لها شىء من التنبؤ وهاك بعض الامثلة :

١ – جاء رجل إلى ابن سيرين وقال رأيت كأنى البس خاتما جميلا فصه من ياقوت فقال تتزوج من امرأة جميلة غنية أى انه حمل المعنى على المستقبل

٢ — جاءت الى ابن سيرين امرأة وكان زوجها غائبا وقالت له : رأيت كان أسكفة الباب العليا سقطت على السفلى ، فقال ابن سيرين : سيعود زوجك . وهنا أيضا حمل المعنى على المستقبل

ونحن من جانبنا لا نتعرض لموضوع التنبؤ الآن لاننا سنوفيه حقه فيما بعد ، ونكتفى بذكر رؤيا عظيمة تدل على مبلغ تضلع العرب فى تفسير الاحلام . فقد حدث المنصور أنه رآى فى منامه صورة ملك الموت وسأله عن مدة عمره فأشار بأصابعه الخمسة ، فاحتار المنصور فى تأويل رؤياه لانه لا يعلم هل سيموت بعد خمسة أشهر أو خمس سنين ، ولكنه سأل الامام ابا حنيفة ، فقال له انه يشير الى الآية (ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام ، وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا ، وما تدرى نفس بأى أرض تموت) فكأن ملك الموت يريد أن يذكره بالخمسة أشياء التى لا يعرفها غير الله ومن ضمنها وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا

هذا هو تفسير أبى حنيفة ، ولعمرى لا يمكن لفرويد ان يزيد شيئا على هذا التفسير ، اللهم الا اذا قال كعادته إن هذه الرؤيا تمثل محاورة بين النفس والضمير ، فالنفس ترغب فى معرفة عمرها والضمير بصورة ملك الموت يقطع عليها هذه الرغبة قائلا إن ذلك من علم الله

وانى مع اعترافى لفرويد بالنبوغ فى التحليل النفسى بواسطة الاحلام ، وأنه هو الذى نبه العصر الحديث الى أن الاحلام لها مغزى يجب أن نعرفه اذا أردنا أن نعرف حقيقة أنفسنا ، وان التحليل النفسى هو الطريقة المثلى لعلاج الامراض العصبية علاجا أكيدا . أقول مع اعترافى بكل هذا فانى أشعر بأن هذا العصر الحديث مدين لابن سيرين ومفسرى العرب لأنهم هم الذين أناروا الطريق لفرويد حتى وصل الى هذه الشهرة العالمية العظيمة ، ومن الغريب أن فرويد فى كتبه العديدة لم يذكر كلمة عن ابن سيرين .

وقبل أن أتكلم عن علاقة الرؤيا بالمستقبل أود أن أذكر هنا رؤيا اخرى مما طلب إلى تفسيره

١ — شاب موظف متزوج وله اطفال رأى كأن فى بيته فراريج صغاراً داس على فروج فمات

هذه رؤيا طريفة وصغيرة ولكنها تدل على معنى كبير لان الفراريج رمز للأطفال ، فهل من المعقول أن والدا يود موت طفله بيده ؟ قد يبدو ذلك محالا ، ولكن الواقع أن الأسئلة قد جعلته يعترف بانه ليس سعيدا فى حياته الزوجية ، وأنه يتمنى لو لم توجد هذه الرابطة : رابطة الاطفال بينه وبين زوجته

اذن تريد النفس ألا يكون هناك أطفال ، ولكن الضمير يقف حائلا دون ظهور هذه الرغبة فتكتفى النفس بتمنى موت طفل واحد ولكن تحت ستار آخر غير ستار كراهية الزوجة ، وهذا الستار هو أن ذلك الطفل مريض مرضا خطيرا وخير له أن يموت من أن يواجه الدنيا فى المستقبل ويده اليمنى مشلولة . ذلك الذى يتمنى موت طفله لان يده اليمنى مشلولة يقول أيضا بأن بعض الاطباء قرر بأن الشلل موضعى وان الشفاء ممكن لو عنى به العناية اللازمة اذن فليست هى الشفقة التى تدفعه الى تمنى موت طفله اذ انها بالعكس تدفعه الى معالجة ذلك الابن المرموز له بفروج صغير فى الرؤيا ، وعلى هذا فالوضع الظاهرى للحالة هو التخلص من الابن شفقة به ، والوضع الحقيقى هو انه يرغب فى الانفصال عن زوجته فترغب نفسه موت اطفاله فى هذا السبيل

الى هنا نقف برهة عن سرد امثلة أخرى لانه قد يتبادر الى الاذهان السؤال الآتى .

اذا كان فرويد قد تتبع طريقة ابن سيرين فى تفسير الاحلام فلماذا نرى هذا الفرق العظيم فى نتيجة التفسير ؟ ففرويد مثلا يقول لصاحب الرؤيا ان عندك رغبة فى كذا ، ولكن ابن سيرين يقول لصاحب الرؤيا أنت حدث لك كذا أو سيحدث لك كذا ؟

اما كشف حوادث الماضى فان ذلك ممكن لمحللى النفس كما كان ممكنا لابن سيرين ، ولكنهم لم يكتفوا بالكشف عن حوادث الماضى بل تخطوها الى معرفة رغبات النفس التى اقترنت بهذه الحوادث ، والذى يعنينى هنا هو تعرض ابن سيرين لحوادث المستقبل . والواقع أن ابن سيرين كان استاذا فى الايحاء الذى يسمونه Suggestion كما كان استاذا فى التحليل النفسى

وفى كتابه نرى كيف يختار الوقت والمكان اللذين اذا عبر فيهما يكون اقرب الى الخير منه الى الشر ، وكيف يدعو الله قبل سماع الرؤيا لجلب الخير ودفع الشر وتأكيده فى كتابه بان على المعبر ان يختار الكلام المبشر بالخير ، لان أول تعبير فى نظره هو الذى لابد من وقوعه

اذن فالايحاء هو الذى أوجد الفرق بين ابن سيرين وفرويد ، ففى رؤيا ابن سيرين التى قال فيها لصاحب الخاتم أنك ستتزوج امرأة جميلة غنية لو قصت هذه الرؤيا على فرويد لقال لصاحبها إن عندك رغبة فى أن تتزوج بالمرأة الجميلة الغنية التى تعرفها . وفى رؤيا ابن سيرين التى قال فيها لصاحبتها إن زوجها سيحضر لأن اسكفة الباب العليا قد اجتمعت على أسكفة الباب السفلى لو عرضت هذه الرؤيا لفرويد لفسرها بأن الزوجة عندها رغبة فى رجوع زوجها ، وربما قال لها أكثر من ذلك لما فى اجتماع رمزى الزوجين من معان . والفرق واضح بين الطريقتين ، فكلمة ستتزوج تحمل الرغبة فى الزواج والايحاء بالزواج فى نفس الوقت ، ولما كان الناس يعتقدون فى ضرورة تحقيق التعبير فان ذلك الرجل الذى أوحى اليه بالزواج لابد انه سيتزوج ويكون بذلك قد حقق لابن سيرين تفسيره .

وهكذا يتبين لنا أن فرويد قد أدخل تعديلا مهما على تعبير الأحلام ، فهو يسأل صاحب الرؤيا عن نفسه وهو يفك الرموز بطريقة ابن سيرين ، ولكنه لا يوحى الى صاحب الرؤيا بأى فكرة بل يكتفى باظهار الرغبة النفسية الخفية له ، ويقول إن أظهار هذه الرغبة كاف لأن يفكر صاحب الرؤيا فى رغبته فيتناولها بالنقد والتقدير ، وبذلك فقط قد يوافق على رغبته وينفذها اذا لم يكن هناك مانع عائلى أو اجتماعى وإلا فانه يكبت هذه الرغبة أو قد يسمو بها ، وهذا ما يسميه فرويد Sublimation أى أنه يوجهها وجهة شريفة سامية ، وبقى علينا أن نجيب على سؤال واحد : وهو هل تدل الرؤيا على حوادث المستقبل ؟ والجواب على ذلك هو أن الرؤيا قد تدل على المستقبل فى بعض الأحيان . وأما كيفية ذلك فسنخصص له بحثا آخر فيما بعد ، بعد شرح أقسام العقل المختلفة التى تعتمد رؤيا المستقبل عليها .

دكتور عبد الفتاح سلامه

طبيب مستشفى برقاش ووردان

بمناسبة قصة خسرو وشيرين

كلمة فى الشعر المرسل

للاستاذ مؤلف خسرو وشيرين

لقد تكرم الأستاذ اللوذعى صاحب الرسالة بكلمة نقد قيمة فى قصة خسرو وشيرين تناول فيها قالبها اورداءها من الشعر المرسل، وكان على عادته فى كتابته قاصدا قويا مهذبا

ولقد ادهشنى وايم الحق ان رأيت بالرسالة الغراء كلمة فى تلك القصة، وذهبت نفسى توغل فى هزة من الطرب أنستها مايجب عليها من وزن القول والقصد فيه.

وذلك لاننى منذ أخرجتها بعثت بها الى أساطين الكتاب والادباء وكبار المحررين، وانتظرت ان يقرأها بعضهم فيقول فيها كلمة، إما ان تكون كلمة نقد مر يظهر مافيها من تفاهة وسخف، وإما ان تكون كلمة نقد هين يتعاقب فيها الاستهجان والاستحسان. وما كنت انتظر ان يقذف بالقصة فى زاوية الاهمال لأن صاحبها لم يكتب عليها اسمه، أو لأنه لم يلح فى طلب التقريظ، أو لأنه لم يلتمس إعانة أو حماية من أحد. فلما مضت أيام ولم أجد ذكرا لها على لسان ولا فى صحيفة، طويت ذكراها فى ثنايا الماضى وانسيت نفسى إياها، وقلت ألتمس التعزية لنفسى، أنها لم تكن جديرة لا بالثناء ولا بالذم، فلعلها فى نظر الادباء أقل من أن يحكموا عليها بالسخف والسقوط. هكذا قلت لنفسى ورضيت القول على شدته، لأننى كنت دائما أتهم نفسى باننى كسائر المؤلفين موصوف بالعمى والغباء، فكم رأيت من المؤلفين من أسمعنى قوله، فجال فى فكرى عند سماعه ان أقول له «أسأت»، ولكنى ضعفت عن قول ذلك اللفظ فقلت له «أحسنت». فصدق ما قلته وذهب قرير العين موقنا أنه مؤلف مجيد موفق، وذلك العمى الخاص بالمؤلفين شبيه بما يصيب الآباء فى حكمهم على ابنائهم. قيل ان اعرابيا فقد ابنه مرة، فمر الصبى بقوم فرأوه شبيها بالجعل القبيح، ثم مر الاعرابى بهم فسألهم عن ابنه فقالوا له صفه لنا، فقال لهم: «كأنه دنينير» اى كأنه دينار صغير من حسنه، وتردد بريق الجمال فى وجهه ونفاسته. وعلى ذلك لم استبعد ان أكون كأحد هؤلاء المؤلفين البغيضين، وحمدت الله على ان وفقنى لفكرة اخفاء اسمى عن الناس حتى لاتنالنى معرة «قصة خسرو وشيرين»!

قلت لقد دهشت اذ رأيت فى الرسالة كلمة عن تلك القصة، ولاسيما وهى كلمة من قلم استاذ اديب وكاتب أريب، لا أظنه يخدع عن غث القول وسمينه. ولما رأيته يتناول القصة فى أول مقاله بالثناء زدت عجبا، اذ كيف تكون تلك القصة جديرة بتقدير أديب كبير، ومع ذلك تجد من سائر الادباء مثل هذا الاهمال. وكيف لا تستحق من الادباء كلمة وقد استحقت من مثل الزيات كلاما، حسبى إذن اندفاعا مع هزة الطرب التى استخفتنى، وذهبت باتزان قولى عندما قرأت مقال الرسالة فى قصتى، فقد كنت أوثر ان الزم القصد فى قولى، لولا ان رأيت شيئا لم أتوقعه فانطلق قلبى برغمى.

حسبى إذن لوما للادباء والاساتذة، فلعل لهم العذر فيما كان، ولعلى أخطأت فهم قصدهم وعذرهم فما أكثر مشاغل الحياة وما أثقل أعباءها، واولى بى أن آخذ الناس كما أجدهم ولا أعتب على أحد منهم شيئا.

أما الشعر المرسل فقد رأيت الاستاذ الجليل قد وضعه تحت ضوء قلمه الوهاج فأعشى وهجه العيون وكاد يحجب مادونه. لا فائدة هنا فى ان يدافع أحد عن أسلوب من القول، ولا فائدة فى ان يحاول حمل الناس على تذوق مايحلو فى ذوقه، فهذا شىء من العبث وضرب من طلب المحال، غير انى أرى من حقى ان أبين للناس كيف يجب ان يكتب الشعر المرسل الذى كتبت فيه قصتى «خسرو وشيرين» فان وحدة هذا الشعر هى الشطر الواحد، وليس البيت المكون من شطرين.

لقد تعارف شعراء اللغة العربية على وحدات متعددة لشعرهم، فأكثر القصيد وحدته البيت المكون من شطرين كما هو معلوم، والرجز وحدته الشطر الواحد مع مراعاة انتهاء كل وحدتين منه بقافية واحدة، وهناك المثلثات والمربعات والمخمسات على ماهو معروف. وأما الشعر المرسل فوحدته كما تقدم الشطر الواحد. وأما حكمة ذلك فلا فائدة من بيانها. فان اختيار اوزان الشعر المرسل واختيار جعله من شطرات مفردة لم أصل اليها الا بعد درس واختبار ومحاولات تجريبية كثيرة. غير ان بيان أسباب ذلك الاختيار لايجدى نفعا، اذ ان تلك الاسباب مهما تكن وجيهة فانها لايمكن ان تحمل الناس على استحسان شىء لايبدو لهم مستحسنا. ولهذا أكتفى بأن أقول ان من يحاول ان يكتب الشعر المرسل

أو يقرؤه يحسن به ان يجعل وحدته الشطر الواحد ، وان يكتفي بما في الوزن من الموسيقى بغير ان يقف عند آخر الشطر إلا اذا كان المعنى ينتهي اليه .

ولم يلجأ أحد في لغة من اللغات الى الشعر المرسل لكتابة الاغاني ، وهذا مالا يراد به في اللغة العربية . فالاغاني وكل ما يعبر عن العواطف الثائرة التي تهز القلوب هزة وقتية قصيرة لاينفع فيها الشعر المرسل . أقول هذا وا كرره كثيرا حتى لا ينزعج الادباء من دخول هذا الباب في اللغة العربية . وما انا ممن يحاولون هدم القديم؛ اني افاخر بذلك القديم وقد تقدمت بي السن الى حدود القدم ، فلست ممن يتعلقون بالهدم ، ولست ممن لايحرصون على كنوز القرون المتعاقبة ، بل أجد من نفسي أشد الحرص على تلك الكنوز ، وذلك لما استمد منها من لذة وحكمة . وانما اقصد الى ان أفتح بابا جديداً كان الى الآن مغلقا وهو باب القصة الشعرية أو الملحمة الطويلة ، وفي مثل هذه الابواب كانت القافية غلا يقيد المعنى ، ويغير مجاريه ، حتى أن شعراء اللغات الاخرى رأوا انفسهم مضطرين الى الاستغناء عن القافية والاكتفاء بموسيقى الوزن . ولو فعل البستاني مثل ذلك في ترجمة الالياذة ، ولو فعل شوقي مثله في رواياته المسرحية لكان لعملهما شأن آخر ، ولصارت الالياذة العربية اليوم في متناول المتأدبين سهلة لينة ، ترسم صورة الالياذة اليونانية الاصلية ، وليست كما هي اليوم ، فالقطع الشعرية الطويلة تكون طللا يابسا غير متناسق ، ولو كانت أجزاؤه من قطع مرمرية بديعة ، فانك عندئذ اذا نظرت في القطعة الصغيرة منها أعجبتك ولكنك اذا تابعت النظر اليها لتراها مجتمعة راعك منظر غير متآلف وحركات جامدة غير متوثبة مع الحياة . لست ادعي انني أحسنت ، ولكني أقول قول الواثق أن الشعر المرسل يكون اداة اصلاح وسعة في اللغة العربية اذا وجد من يحسن القول فيه . وإذا أنا ضربت من قولي مثلا له فلست أضربه على أنه قول حسن ، ولكني اضربه على سبيل العرض للطريقة : وهاأنذا مختار قطعة من مواقف خسرو وشيرين ، وارجو أن تكتبها الرسالة الغراء كما اردتها أن تظهر — أي أن تكون وحدتها الشطر الواحد .

وقف بعض قواد الملك كسرى في أيام مجده وجبروته يتحدثون ويتندرون ، فأقبل عليهم شاعر البلاط (مهمند) فقطع عليهم حديثهم فدخلوا في حديث دعابة مع الشاعر ، والقواد هم (اسفاذ) و (تخوار) و (حراز) .

حراز (ضاحكا)
أوه . مهمند ؟ كيف حال الزمان ؟
(يعودون الى الهدوء)

مهمند مثلما كنت دائما . أتغدى
ثم أغفو ، وبعد ذلك أصحو
ثم أغفو ، وبعد ذلك أصحو .
(يضحكون)

حراز سرك الله ، نعم تلك حياة .
(لتخوار) ياصديقي تخوار . نعم الحياة .
(لاخوانه) هل سمعتم مقال مهمند يوما ؟

تخوار : أنا بالحرب عالم ، غير اني
لست بالشعر عالما ياصديقي .

حراز : (لمهمند) قل لنا من بديع شعرك شيئا

مهمند : لست ياسيدي أحب كلامي
(يشير حراز إشارة عدم التصديق)
لا تكذب فانما هو رزقي
وسبيل الارزاق غير حبيب
بائع الزهر ذاهل عن شذاه
لايرى في الزهور الا بضاعة .

حراز غير أن الزهور لم تك يوما
غير محبوبة الشميم . أعدلي
ذلك الشعر اذ خرجنا لنلهو
يوم عيد النيروز

مهمند كان جميلا
ذلك اليوم كم ضحكنا . ولكن . . .
(يهز رأسه كمن يتذكر شيئا يأسف على فواته)

حراز كم ضحكنا . أعده يامهمند

مهمند (ينشد) من أراد الصدق فليسمع ومن شاء السرور
ذقت ما في الدهر من حلو ومن مر مرير
وعرفت الناس عند اليسر والامر العسير
كنت أبكي إن بكى لهفان ذو قلب كسير
ولكم ضل فؤادي في فنون وغرور
فاذا بي بعد أن شيبني مر الدهور .

لأأرى فى الناس ذا حظ سوى الفدم الغرير
كن اذا شئت حمارا مرحا بين الحمير
واذا شئت فأسرج راكبا فوق الظهور
ساخرا منها اذا أعجبها السرج الحرير
فأضل الخلق عقل فوق رجلين يسير

حراز (يضحك بصوت عال)
كن اذا شئت حمارا مرحا بين الحمير
(يضحك مهند والحضور)
(لتخوار) اترى أن تكون هذا صديقى ؟

تخوار (ضاحكا) لا أرى أن اكون هذا .

حراز فأسرج
راكبا فوق ظهرها ياصديقى

تخوار (ضاحكا) لا أرى فى الركوب بأسا اذا ما
كان لابد من ركوب الحمير .

حراز (لاسفاذ) ليت شعرى ماذا تحب ؟

اسفاذ (متكلفا الضحك) ارانى
لاأحب الحمير —

مهند لم أر يوما
سيدا طيبا تواضع حتى
رضيت نفسه بهذا . ولكن
كلنا يرتضى الركوب . وعندى
أن أحلى الحياة عيش الحمير
(يضحكون)

حراز كيف هذا مهند؟

مهند نعم الحياة !
كل ارض خضراء مرعى مباح
لم يعكرهم الحياة صفاها .
حيث سارت رأت محلا ومأوى
واذا شاءت النهيق وصاحت
لم توار النهيق خشية بطش

حراز انت مهند احكم الشعراء .
كم من الناس من يود نهيقا
ثم يخشى فيكتم الانفاسا .

١ — تولستوى

اجتماعيات

عشق تولستوى المدنية الاوربية ، فطاف فى أنحاء أوربا وأعجبه منها تقدمها الآلى ونظامها المتسق . وبهره فيها حركتها الدائمة ونشاطها المتجدد .

ولكنه مالبث أن نفذ الى أعماقها . وكفاه أن يرى فى تجواله رجلا يشنق فى باريس أم المدنية على مرأى ومسمع من الجماهير حتى ينقلب ساخطا متذمراً متشائما . وحتى يرجع الى روسيا غضبان أسفا ، فيهاجم الحضارة الحديثة فى سخرية لاذعة وتهكم مر .

تناول تولستوى الناحية النفسية من المجتمع . وأخذ يصورها بقلمه الماهر تصويراً دقيقا .

فبين أن حياة العامل اليوم أشق بكثير من حياة الرقيق بالأمس . فقد كان يؤمن هذا ايمانا لايخامره الشك انه خلق عبداً. وأن الله أراد أن يكون هناك أحرار وعبيد . وكان يوقن أن لامرد لأمر الله ، وفى هذا الايمان تعزية . وفى هذا الاعتقاد سلوة . .

أما العامل الحر اليوم فقد علموه المساواة ، فلا نبيل ولا حقير . ثم هو يرى أن عليه أن يتعب ، ولهم أن يستريحوا . ومن واجبه أن يشق ، ومن حقهم أن يسعدوا

وهو ولا شك غير راض بهذا ولا قانع ، ولابد له أن يتساءل لماذا يشق ؟ وهو منته الى الشك فى عدل هذا العالم وانصاف القائمين بأموره .

وفى هذا الشك . وفى ذاك التساؤل تعس ليس بعده تعس ، ثم رجل الطبقات الوسطى لاتقل حالته النفسية عن حالة العامل تناقضا واضطرابا : اذ يرى عجبا ، يرى قوما اذا ما أجادوا التمليق

ولعلى أعرض على قراء الرسالة فى مرة أخرى قطعة ثانية تصف موقفا آخر ليروا فى ذلك القول رأيا

وانى أرجو أن تتكرم المجلة الادبية الغراء بنشر مقالى هذا خلوا من الامضاء ، إذ أنى أرجو أن يبقى كاتب (خسرو وشيرين) فى تحجبه ، فانما المقصود أن يرى الأدباء رأياً فى القصة وشعرها المرسل فحسب ؟

وأحسنوا الاحتيال وداسو على الشرف والكرامة ارتفعوا على أكتاف الغير وتولوا قيادة الأمم ، ثم طائفة أخرى تتمسك بالأمانة وتتعلق بالشرف . وهى أبية لا تقل ذكاء ولا مهارة عن الأولى ولكنها مهما كدت وجدت فنصيبها فى الحياة القدح المنيح ، ثم هو متعجب لماذا يجب عليه أن يؤدى ضرائب ثقيلة على نفسه لتتمتع بها قلة مستهترة . وماذا يحمله على محاربة الموت فى ميدان القتال ، مادام الغنم كله راجعا الى القواد والساسة ! ؟ ويزيده شقاء على شقاء انه مضطر الى مجاراة العالم فى نظمه وأساليبه ، وهو يحمل لها بين طوايا نفسه انتقاما مرا . ورجال المناصب وقادة الأمم من ساسة وحكام لهم آمال عريضة ومبادىء قويمة . ولكنهم اذا ما تولوا الحكم وقبضوا على أزمة الأمور انتهوا الى منهاج من سبقهم واضعين مبادئهم فى أحد أدراج مكاتبهم التى يستريحون اليها !

ويمتد هذا التناقض الى نفسية الامم كمجموعة . فليس أعجب من أمم مسيحية تعتنق دينا يدعوها ألا تقابل الشر بالشر وأن تدير الخد الأيسر لمن يلطم الخد الأيمن . وهى لا تتورع عن قتال دام تعد له أشد الآلات فتكا لاهانة تافهة ، أو لطمع أشعبى فى قطعة أرض أو تصريف محصول .

فرق بعيد اذن بين مايعتقد البشر وبين مايعملون . وبون شاسع بين مايؤمنون انه واجب ان يكون ، وماهو كائن بالفعل ، وفى هذا سر الشقاء والبؤس الذى يسود العالم.

كان من نتيجة هذا الخلاف بين ما تراه ضمائرنا وما تعمله ايدينا اسوأ العواقب . فالنظم والاوضاع الاجتماعية الحديثة لاتستند الا الى القوة . ولاتقوم الا بالعنف .

فليس من حكومة تستطيع ان تدبر أمر دولة دون أن يكون من ورائها شرطة تجبر الناس على الطاعة . وليس من قانون يسرى إلا اذا اعتمد على قوة تنفيذية تضطر الناس الى الاذعان له ، وليس من عمل يدار الا اذا تحكم أصحاب رؤوس الاموال فى العمال ، ويتجلى هذا العنف فى أبسط نواحى الحياة الاجتماعية أو أكثرها تعقيدا من العلاقات العائلية الى العلاقات الدولية ، فلا يتاح لأسرة ان تستمر إلا اذا استبدت المرأة بالرجل أو الرجل بالمرأة ، ولا يمكن لنزاع ان يحسم بين دولة وأخرى الا إذا اريقت الدماء وازهقت الارواح

ولو ترك الناس وضمائرهم لما جبيت الضرائب ، ولما الفت الجيوش ، وما كان ليخطر ببال انجليزى ان يقتل فرنسيا ولا فرنسى ان يستعبد سوريا

ولو كان الأمر شورى والمبادىء التى نودى بها من مساواة واخاء حقيقة واقعة لما وجدنا طبقة حاكمة وأخرى محكومة . وما كان يتاح لأحد ان يسعد ولآخر ان يشقى .

ونحن نحس كل هذا ونشعر ان مانعمله مساقون اليه سوقا ومدفوعون اليه دفعا . وانا لانستطيع مع الانظمة الحالية صبراً ، ولكن لسنا من الشجاعة الادبية بحيث نجهر بضرورة تغيير نظام العالم وبوجوب قلبه رأسا على عقب .

لقد أصبحت المدنية الحالية نسجا مهلهلا ونظاما معطلا لايصلح لما يجيش فى نفوسنا ويجول فى عقولنا . وأمست رياء وخداعاً تتدثر بمسوح كهنوتى لتخفى فجورها وشراستها . فهى إن استعبدت الامم فلكى تأخذ بيدها الى الرقى ! وهى إن لجأت إلى القوة فى هذا السبيل فذلك عمل انسانى نبيل .

نعم . لقد أصبحت النظم الحالية من سياسية واجتماعية واقتصادية نظما عتيقة لاتشرف الانسانية فى قليل أو كثير .

ولكن . أى نظم نستبدلها بها . وعلى أى صورة تكون هذه النظم ، هذا مابحثه تولستوى ، وكان من نتيجة بحثه ان وصل الى رأى قاطع

— ٢ —

ولم يكن رأى تولستوى خيالا أو اديالا يستحيل تحقيقه ، ولم يتطلب من البشر أن ينسوا بشريتهم ليصبحوا ملائكة .

وهو لا يقول لك أكثر من أن تتبع التاريخ لتتبين بنفسك مجرى الانسانية إلى أين تسير وفى أى اتجاه تتجه .

لقد أتى على العالم حين من الدهر كان فيه أسرا وعشائر . وكانت الاسر فى تطاحن وتناحر ، يعتقد أفراد كل أسرة أن سعادتها فى التغلب على الأسر الأخرى . ثم ظهر لهم أن لا ثمرة يجنونها من قتال طويل ممل . فاندمجت الأسر فى قبائل .

وبدأت القبائل دوراً آخر من أدوار التاريخ سودت صفحاته بحروب الغلبة والثأر . ثم مالبثت أن تحققت بدورها أن سلامها فى تعاونها فاتحدت القبائل . وكان من نتيجة اتحادها هذه الدويلات التى عظمت حتى سميت بعد بانجلتره وفرنسا والولايات المتحدة . . . فى تتبعك لهذه الأدوار استكشاف لسر الانسانية . فهى تتجه الى الوحدة . وتسعى الى الالتئام فليس من المستحيل أن تصبح الدول دولة واحدة . وبذا تنقطع من صفحات التاريخ سلسلة المجازر البشرية .

قد تقول ان هذا حلم فيلسوف وخيال شاعر . وأن ليس من الوطنية مفر . ولا من الحرب بد ، وأن الشقاء والبؤس من لوازم هذا العالم . ليس فى الامكان أبدع مما كان .

ويضحك منك تولستوى . ويقول إن ما تحسبه اليوم قد حسبه أجدادك من قبل . فالاثينى ما كان يخطر بباله أن يتعاون مع أخيه الاسبرطى تحت علم واحد متناسيا احقاده مضحيا بمصلحة مدينته فى سبيل اسم أجوف دعوه اليوم دولة اليونان

وانجلترة التى يضحى الانجليزى من أجلها بنفسه وماله . لم يكن لها من قبل وجود . وما كان يتصور الاسكتلندى أو الارلندى قبل بضع مئات من السنين أن يأتى وقت يتنازلان فيه عن استقلالهما الشخصى وتقاليدهما الموروثة وليصبح لهما وطن مشترك ، وعنوان واحد ، والرقيق كان يحسبه البعض منذ مائة سنة ضرورة من ضروريات الحياه وقانونا طبيعيا ارادة الله وليس الى تغييره من سبيل .

واين الرقيق اليوم ؟

وهكذا ، فما تتخيله اليوم من أن اتحاد البشر أمر محال وأن الغاء الحروب خيال بديع سيصبح بعد غد حقيقة واقعة

وشقاؤك آت من أنك تؤمن بضروره هذا الاتحاد ، ولكنك تحكم باستحالته . وسعادتك لن تتحقق الا إذا اعتقدت بامكانه فتعمل له

هذا اليوم الذى تختفى فيه الوطنية لتحل محلها الانسانية . وتتنازل فيه الدول عن بعض حقوقها لتعيش فى هدوء وسلام هو الضالة التى يجب أن ننشدها وهو الغاية التى يجب أن نقصدها . ثم هو النهاية التى لاشك انا واصلون اليها .

كيف يتحقق هذا الحلم الجميل ؟ ذلك ما يجيبك عنه تولستوى مرة أخرى :

(البقية فى العدد القادم)

شهدى عطيه الشافعى

بديع الزمان الهمذانى

للدكتور عبد الوهاب عزام

— ١ —

القرن الرابع الهجرى

سيطر على النصف الشرقى من العالم الاسلامى فى القرن الرابع ثلاث دول كبيرة ودول أخرى صغيرة :

سيطر بنو بويه على غربى إيران وجنوبها وعلى العراق العربى فسيطروا على الخلفاء العباسيين فى بغداد .

وكان ما وراء النهر وخراسان وسجستان فى سلطان السامانيين

ثم قامت الدولة الغزنوية فى أواخر هذا القرن فورثت ملك السامانيين كله . وانتقصت ملك بنى بويه وزحزحتهم تلقاء المغرب ثم أوغلت فى المشرق ففتحت الهند .

وكان فى طبرستان وجرجان الدولة الزيارية التى أقامها فى أوائل هذا القرن مرداويج بن زيار . وكان بنو باوند فى طبرستان أيضاً .

وفى سجستان أمراء من نسل يعقوب بن الليث الصفار ومنهم الأمير خلف بن أحمد (٣٤٤ - ٣٩٩) .

عاش أحمد بن الحسين بديع الزمان الهمذانى فى عهد أربعة الملوك الأخيرين من بنى سامان إحدى وثلاثين سنة . وفى عهد جماعة من ملوك بنى بويه أعظمهم عضد الدولة (٣٦٧ - ٣٧٢) ومؤيد الدولة وفخر الدولة (٣٦٦ - ٣٨٧) ومجد الدولة أبو طالب رستم (٣٨٧ - ٤٢٠) وشمس الدولة أبو طاهر (٣٨٧ - ٤١٢) . والذين كان لهم سلطان على همذان والبلاد التى أقام بها الهمذانى هم مؤيد الدولة وفخر الدولة وابناه مجد الدولة وشمس الدولة . ولمؤيد الدولة وأخيه فخر الدولة وزر أبو الفضل بن العميد والصاحب ابن عباد .

وعاش البديع فى عهد شمس المعالى قابوس بن وشمكير من الزياريين وفى عهد سبكتكين وابنه محمود من الغزنوية ، وخلف ابن أحمد من الصفارية وثارت حروب كثيرة بين هؤلاء الملوك اضطربت لها البلاد وشقى بها الناس .

وكانت هذه الدول تتنازع مجد العلم والأدب كما تتنازع السلطان وكانت للادب فى النصف الثانى من القرن الرابع محافل : حول

ملوك السامانية فى بخارى وحول وزراء البويهيين فى الرى واصفهان وجرجان ، وحول شمس المعالى قابوس بن وشمكير فى جرجان وطبرستان وحول السلطان محمود الغزنوى فى غزنه وأخيه نصر فى نيسابور ، والمأمونية فى خوارزم .

ومما يؤثر من تنافس هذه الدول فى العلماء والأدباء أن نوح ابن منصور السامانى كتب الى الصاحب بن عباد سرا يستدعيه ليستوزره فاعتذر . وأن السلطان محمودا كتب إلى المأمون أمير خوارزم ليرسل اليه ابن سينا والبيرونى وأبا سهل المسيحى الفيلسوف وأبا الحسن الخمار الطبيب ، وأبا نصر العراق الرياضى ، فمنهم من رضى بالمسير الى محمود ومنهم من فر . وكان الى جانب الملوك والوزراء رؤساء وبيوت يؤمهم الأدباء ابتغاء الحظوة عندهم

واذا اتخذنا الثعالبى والبيرونى مثلا لأدباء هذا العصر وعلمائه عرفنا تولية الأدباء وجوههم شطر هذه الدول :

الثعالبى اهدى كتابه لطائف المعارف الى الصاحب بن عباد والمبهج والتمثيل والمحاضرة الى شمس المعالى قابوس وسحر البلاغة وفقة اللغة الى الأمير أبى الفضل الميكالى والنهاية فى الكتابة ونثر النظم واللطائف ، والظرائف الى مأمون بن مأمون أمير خوارزم : وغرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم إلى نصر أخى السلطان محمود ، والبيرونى أقام فى خوارزم عند المأمونية ثم سار الى شمس المعالى وقدم اليه كتاب الآثار الباقية ثم قصد السلطان محمودا فلزمه وقدم اليه كتابه عن الهند . وقدم كتاب التفهيم فى علم النجوم الذى الفه بالعربية والفارسية الى سيدة من خوارزم اسمها ريحانة ثم قدم القانون المسعودى فى النجوم لمسعود بن محمود وكتابه فى المعادن الى السلطان مودود بن مسعود .

— ٢ —

وقد نفقت سوق الآداب فى القرن الرابع ونبغ كثيرون من أعلامه ولا سيما كتاب الرسائل

وحسبنا أن نذكر من الكتاب ابن العميد وابن عباد وأبا اسحاق الصابى ، وأبا بكر الخوارزمى والعتبى وعبد العزيز الجرجانى وبنى ميكال ، وشمس المعالى قابوس وأبا هلال العسكرى ، وابن نباتة الخطيب ، والحسن بن على التنوخى .

ومن الشعراء : المتنبى والمعرى والحمدانى والرضى ومهيار ، وابن نباتة السعدى ، وابو الفتح البستى ، والببغا ، والنامى ، والناشى ، والزاهى ، وغيرهؤلاء من شعراء اليتيمة وكتابها .

همذان

مدينة فى ناصية الجبال يشرف عليها جبل أروند فى سهل خصب ، ويؤخذ من أخبار الكتب الفارسية والعربية أنه كان لها شأن عظيم فى حقب مختلفة قبل الاسلام وفى العصر الاسلامى . .

وهى هكمتانه فى الآثار الفارسية القديمة ، وأهيمتا فى التوراة ، واكبتانا عند كتاب اليونان والرومان .

واجمع الكتاب على وصفها بشدة البرد ، وأكثر الشعراء فى هذا . قال ياقوت : « لما قدم عبدالله بن المبارك همذان أوقدت بين يديه نار فكان اذا سخن باطن كفه أصاب ظاهرها البرد واذا سخن ظاهرها أصاب باطنها البرد فقال :

أقول لها ونحن على صلاء   أما للنار عندك حر نار ؟
لئن خيرت فى البلدان يوما   فما همذان عندى بالخيار

ثم التفت الى ابن ابى سرح وقال يا أبا عبدالله وهذا والدك يقول

النار فى همذان يبرد حرها   والبرد فى همذان داء مسقم
والفقر يكتم فى بلاد غيرها   والفقر فى همذان مالا يكتم

وقال ياقوت : « ولا شك عند كل من شاهد همذان بأنها من أحسن البلاد ، وأنزهها وأطيبها وأرفهها ، ومازالت محلا للملوك ومعدنا لأهل الدين والفضل ، الا أن شتاءها مفرط البرد بحيث قد أفردت فيه كتب ، وذكر أمره بالشعر والخطب . »

وأما أهلها فكأنهم عرفوا بالغلظة ، وبديع الزمان يعتذر فى بعض رسائله عن سوء فعله بانه همذانى المولد . وينسب اليه فى ياقوت :

همذان لى بلد أقول بفضله   لكنه من أقبح البلدان
صبيانه فى القبح مثل شيوخه   وشيوخه فى العقل كالصبيان

وفى مناظرة رواها ياقوت بين همذانى وعراقى يقول العراقى للهمذانى : « ثم فيكم أخلاق الفرس ، وجفاء العلوج ، وبخل أهل أصبهان ، ووقاحة أهل الرى ، وقذارة أهل نهاوند ، وغلظ طبع أهل همذان . »

ويقول ابن فارس كما فى ابن خلكان :

سقى همذان الغيث لست بقائل   سوى ذا وفى الاحشاء نار تضرم

ومالى لاأصغى الدعاء لبلدة   أفدت بها نسيان ما كنت أعلم
نسيت الذى أحسنته غير أننى   مدين ومافى جوف بيتى درهم

ومما يستأنس به هنا قوله فى مدح خلف بن أحمد :

أبادية الأعراب أهلك اننى   بادية الأتراك نيطت علائقى

وقوله فى القصيدة نفسها :

اذا اقتنصت منى خراسان لفظة   أماطت نساء العرب در المخانق

وكذلك رسالته الى أبى عامر الضبى رئيس هراة فى عيد السدق وهو ليلة الوقود عند المجوس ، وفيها يبين فضل العرب على العجم فى أسلوب تتجلى فيه العصبية

ويظهر أن أسرته كانت ذات مكانة فى همذان ، فهو يقول فى رسالة الى أبى بكر الخوارزمى حين لم يحسن لقاءه بنيسابور : « فلو صدقته العتاب ، وناقشته الحساب ، لقلت ان بوادينا ناغية صباح ، وراغية رواح ، وناسا يجرون المطارف ، ولا يمنعون المعارف .

وفيهم مقامات حسان وجوههم   وأندية ينتابها القول والفعل

ولو طوحت بأبى بكر أيده الله طوائح الغربة ، لوجد منال البشر قريبا ، ومحط الرحل رحيبا » ، وأجابه الخوارزمى بقوله : « فاما القوم الذين صدر سيدى عنهم فكما وصف ، حسن عشرة ، وسداد طريقة ، وكمال تفصيل وجملة ، ولقد جاورتهم فأحمدت المراد ، ونلت المراد ،

فان كنت قد فارقت نجدا وأهله   فما عهد نجد عندنا بذميم

وفى رسالة الى وزير الرى يقول (وورائى من أخوالى وأعمامى من مواقف خدمة مشهورة ، ومقاماتهم مشكورة ، وبهم حاجة الى فضل عونه)

— ٣ —

فى النصف الثانى من هذا القرن عاش الهمذانى ، فنبين سيرته وأخلاقه ثم ننظر مكانته من أدب هذا العصر

ا — أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد بن بشر الصفار المعروف ببديع الزمان الهمذانى ، ولد فى همذان ١٣ جمادى الثانية سنة ٣٥٨ من أسرة عربية :

ذلكم بأنه يقول فى رسالة الى الفضل بن أحمد وزير السلطان محمود ، « انى عبد الشيخ واسمى أحمد ، وهمذان المولد ، وتغلب المورد ، ومضر المحتد » وكأنه يريد أن يقول إنه مضرى الأصل ، ولكن أسرته عاشت فى تغلب . وفى رسالة الى الشيخ أبى القاسم يعتذر عن التخلف عن الحضور بالزكام ، ويقول عن رجل اسمه أبو الحسن يظهر أن اسمه سقط من الرسالة : « وما أشد استظهارى بخلافته وإن لم يكن من ولد العباس والله يبقيه علما للفضل ، فيقول أبو القاسم فى الجواب . « والشيخ ابو الحسن فوق شروط الخلافة ، فان كان المستخلف تغلبيا ، جاز أن يكون الخالف كسرويا »

فالتغلبى هو الهمذانى نفسه . ودليل آخر أنه كتب الى القاضى أبا الحسين على بن على : « أنا أمت الى القاضى أطال الله بقاءه بقرابة ، ان لم يكن عربيا فأبى وأبوه اسماعيل ، وعمى وعمه اسرائيل ، الخ ،

ب — ويؤخذ من رسائله بعض أخبار أسرته : يؤخذ منها أن أبويه عاشا إلى أن كبر وترك همذان ، وأن أخاه أبا سعيد كان صغيرا حين بدأ هو أسفاره . ويؤخذ من معجم الأدباء أن أخاه أبا سعيد كان مفتى همذان ، ويؤخذ من رسائله أيضا أنه كان له ابن صغير اسمه أبو طالب ، وأن أحد أعمامه لحق به فى أسفاره ، وعاش معه عشر سنين .

ويفهم من رسائل كثيرة أن أباه أرسل اليه أول الأمر مالا وأمره أن يرجع الى همذان ، ولامه على طول غيبته ، وأنه هو أرسل الى أبيه مالا من بعد وسأله أن يلحق به ، وأن أباه وعده ذلك ثم لم يفعل حتى غضب البديع ، وكتب الى أخيه أبى سعيد دون أبيه. ومن رسائله الى ابيه : « كتابى أطال الله بقاء سيدنا من بوشنج ، لك أسوة بيعقوب فى ولده ، اذ ظعن اليه من بلده . وليس العاتق سور الأعراف ، ولا جبل قاف ، فلم لا ينشط ؟ والله لا يضيع بذلك المكان درهما الا عوضه دينارا ، ولا يعدم هناك دارا الا أفادته ديارا . . .

وقد رسمت لموصل كتابى هذا أن ينقده مائة دينار بشرط أن يخرج وأن يرتب له عمارة شتوية تسعه . فالشيخ الفاضل العم فليتفضلا ، وليقوما ويرحلا ، ويستصحب الاخ ابا سعيد ، وليأتى بأهله أجمعين ، الخ .. »

وفى رسالة أخرى يذكر أنه غاب عن أبيه احدى عشرة سنة ص (١٦٠)

وأما أمه فلا أجد ذكرها فى الرسائل ، وفى الديوان له : « وله يجيب والدته :

وعجوز كأنها قوس لام   خلقوها من نبعة شر خلق
كاتبتنى شوقا الى وقالت   أخذ الله يا بنى بحقى
قلت لاأستطيع ترك بلاد   قد وفى الله فى ثراها برزقى

وهى أبيات ان صحت فلا تشهد لبديع الزمان بالبر .

ويظهر من بعض رسائله أيضا أنه طلب الى صهره أن يرسل امرأته وابنه أبا طالب. على أن فى الكلام غموضا. « وقد طالت مراجعات الشيخ فى حديث أبى طالب الخ ص ١٩٩ الى آخر الرسالة ».

ج ـ نشأ أحمد بن الحسين فى هذه الأسرة. وكان كما يقول الثعالبى مقبول الصورة، خفيف الروح، وكان أعجوبة فى الحفظ والبديهة والارتجال، له أخبار فى هذا لا تكاد تصدق، وسنعود اليها عند الكلام على أدبه، ويخبرنا الثعالبى أنه أخذ اللغة عن أحمد بن فارس، ونحن نجد فى الرسائل رسالة الى استاذه هذا جوابا عن رسالة ذم فيها الزمان، وقد مدحه ببعض شعره. ويقول الهمذانى فى رسالة الى ابيه عن أخيه أبى سعيد:

« ويبلغنى انه ابتدأ بمجمل اللغة، فأين بلغ منه، والشيخ لا يحمل عليه بعويص اللغة حتى يعلم سهلها، ولا يأخذه بما أخذنى به، فالعمر لا يتسع للعلوم أجمع. »

وقد درس الحديث، ويقول ياقوت فى معجم الادباء نقلا عن شيرويه بن شهردار مؤرخ همذان: « وكان أحد الفضلاء والفصحاء متعصبا لأهل الحديث والسنة، ما أخرجت همذان بعده مثله، وكان من مفاخر بلدنا، روى عنه أخوه ابو سعيد، والقاضى ابو محمد عبدالله ابن الحسين النيسابورى. » ونجد عصبيته لأصحاب الحديث فى رسالة كتبها الى أحد القضاة يقول فيها: « ماله ولأصحاب الحديث الخ الرسالة » ص ١٠٥

سفره من همذان

فارق همذان سنة ٣٨٠ وهو ابن اثنتين وعشرين سنة: وورد حضرة الصاحب فتزود من ثمارها وحسن آثارها، كما يقول الثعالبى.

وفى الديوان أنه قدم إلى الصاحب وله ١٢ سنة، فهذا كان قبل رحيله عن همذان، ويؤيده ما رواه الثعالبى عن الهمذانى قال: « لما أدخلنى والدى إلى الصاحب ووصلت مجلسه، واصلت الخدمة بتقبيل الأرض، فقال لى: يابنى اقعد، إلى كم تسجد، كأنك هدهد » وفى إحدى قصائده ما يدل على أنه ذهب إلى الصاحب أكثر من مرة.

وتعجب لاختيارى ان رأتنى   أرى بحراً وأمتاح الركايا
سأنتاب الوزير فان أتيحت   زيارته وساعدت القضايا
أعاود ورده والعود خير   وأرجع ان للرجعى مزايا

ولا ندرى ما كان بينه وبين الصاحب، ولكنا نراه يذكر فى قصيدة ان الصاحب أوعده وهدده:

أكافى الكفاة استبق منى ومن دمى   حشاشة مجد فى البلاد مشرد
أفى موجب الفضل الذى أنت أهله   توعد مثلى أم قضية سؤدد
أبعد مقاماتى لديك وهجرتى   اليك وأنفاقى طريفى ومتلدى
وجوابة للافق فيك طردتها   غدت بين منشور وبين مُقصَّد الخ

وأظنه أراد هجاء الصاحب فى قوله من قصيدة يمدح بها خلف ابن أحمد:

وليل كذكراه كمعناه كاسمه   كدين ابن عباد كادبار فائق

جرجان

يقول الثعالبى: « ثم قدم جرجان وأقام بها مدة على مداخلة الاسماعيلية والتعيش فى أكنافهم، والاقتباس من أنوارهم، واختص بأبى سعيد محمد بن منصور أيده الله تعالى، ونفقت بضائعه لديه، وتوفر حظه من مادته المعروفة فى اسداء المعروف والافضال على الأفاضل..

فلما استقرت عزيمته على قصد نيسابور اعانه على حركته، وأزال علله فى سفرته، فوافاها سنة ٣٨٢، ونحن نجد فى رسائله رسالة الى ابى سعيد الاسماعيلى يذكر أن الاعراب قطعوا عليه الطريق الى نيسابور وسلبوه كل ما معه.

(يتبع)   عبد الوهاب عزام

من طرائف الشعر

رب زهر يشوكني وهو غرسي

للأستاذ الحوماني

مدرس الآداب في كلية طرابلس

« قطع الناظم شطرا من حياته مهاجرا بين أروبا واميركا من الغرب ثم بين العراق ومصر وسائر الاقطار العربية من الشرق: فالقصيدة التالية تمثل حياته المشردة ماثلة بين آلامه في الحياة وحنينه إلى وطنه وهو يطوف في الغرب ، معارضا بها قصيدة امير الشعراء التي عارض بها قصيدة البحتري في ايوان كسرى»

ربما أنضج التجارب درسي ... لثلاثين من سني وخمس
ولقد تكشف الغطاء ليومي ... عن مآتي غدي بصيرةُ أمسي
قد لفظت الحياة يشقى بها الحرُّ ... رُ وتترى منها يدا كل جبس
إذ بلوت الورى ثلاثين عاماً ... وخد نياي من يراع وطرس
بين جهدين من يد ولسان ... تحت ليلين من غموض ولبس
كم أطوف البلاد شرقا وغربا ... فوق ظهرين من سفين وعنس
أيُّ جد يُغريه بي أيُّ عزٍّ ... تترامى اليـــه آية نفسي
البواديُّ في العراق أقضَّت ... مضجعي في الشآم فوق الدمقس
غرست مضجعي قتاداً وقالت ... لأمانيَّ هوِّني وتأسي
يصبح الزهر ناضراً وعلى ما ... يحبس الدمع في فؤادك يمسي
قد نزلت العراق أحسب اني ... نازل في العراق دارة قدس
ووردت الشآم تبحث عينا ... ي بها عن طبابة المتحسيِّ .
فاذا القول فيهما دار ملك ... وإذا الفعل ثم دارة فلس
لا يغرنك في الشآم (١) رجال ... موَّهوا بالرياء وجه الفرنسي
ربما أثرت العيون من الكحـ ... ـلِ وخلف الجفون منبت ورسي

كم أذود الكرى وأنشد عزي ... بين ناب من الزمان وضرس

(١) المراد بالشام سوريا بما فيها لبنان وفلسطين لا دمشق وحدها

وأعاف المبيت بين نهود ... وشفاه من الكواعب لعس
ضاق بي مهيع الفضاء فلا أصـ ... ـبح الاعلى قذًى حيث أمسي
همتي همتي ففيم نواحي ؟ ... في طلاب العلى ونفسي نفسي
رب يوم ذممته تحت ليل ... طالعتني من أفقه ألف شمس
احرقوني بعد الممات اذا لم ... يُبن من دارة الكواكب رمسي
اتحدى اصلاح شعبي ولما ... تعد كفاي لعبة المتخسي (١)
يتمشى اليه بي من أبي الحا ... رث قلب يحدوه جسم ابن عرس
في رؤوس مما أخفضُ شم ... وطباع مما أذلل شُمُس
هزت الصم صرختي فلما ذا ... لم تعِ الأذن منهم غير همس
لِمَ ، لم يسمعوا وهم غير صم ... لِمَ لم ينطقوا وهم غير خرس؟
ربما أرجفوا بقولي وقالوا ... وهم الساخرون ، عنتر عبس
وكذا الشعر لم يصب غير قوم ... قد أصيبوا من الجنون بمس
واذا الجد لم يهب بك أوفيـ ... ـت على العزم من حقائف وُعس
فاعجبوا للاريب وهو أريب ... وارداً في حياته ورد خمس
وحياة الأديب بارق سعد ... يتحداه من طوالع نحس
أمل في الحياة أبرق فارفضـ ... ـت عزاليه من سحابة يأس

لا الوم الصديق أن يتناسى ... سالفات العهود فالبعد ينسي
نكث العهد من حدبت عليه ... رب زهر يشوكني وهو غرسي
ولقد ينكر الصحيح علاجاً ... هام فيه والنبض تحت المجس
كم طباع تشف عن زهرها الغضـ ... ـض جسوم تضاءلت تحت طلس
ولكم تلمس الخشونة فيها ... با كف ممن تصافح مُلس

شرما في الانام نعمى مليك ... هي في شعبه عصارة بؤس
وكذاك الحياة سفر شواظ ... يتراءى للغر مذهب طرس
عُرس قائم على اسِّ رزء ... ورزايا قامت على اسِّ عرس

لا تهن أن قعدت اعزل والخبـ (م) ... من الشعب قائم فوق كرسي
رب نادٍ ملء الصدور بذكـ ... ـر ابن هند ونهج (٢) حيدر منسي

(١) المتخسي من التخسي وهي لعبة يلعبها الأطفال

(٢) النهج هو نهج البلاغة الذى يضم خطب الامام علي

كيف بالشعب ان يُبيل وتدأو ... رده الجهل آسياً غير نطس
ومن الهون فى الحياة على الحر (م) خضوع الكريم للمُسْتَخَس
ايها الشعب، والسلاسل ضاقت ... بك ذرعاً ، أما تحس بنهس؟
عمرك الله ! لايقيم على الضيـ ... ـم خسيس الحياة غير الاخس
واذل الشعوب شعب تحدّى ... ذروات العلى على يد نكس
قد يشيد الجبان صرحاً ولكن ... هيكلا قائمـــا على غير أس
اطرحوا الجهل ساعة وتعالوا ... أبصروا فى البحار جنة إنس
بحر علم يطغى بهم فوق شم ... من جبال الحديد فى البحر ترسى
قل لمن حاول الزعامة قبلا ... بجــدا نائل وشدة بأس
اخفقت بعد كم شجاعة عمرو ... وندى حاتم وحكمة قس
أفأستعرض الحياة (بنويرك) (م) (وفى لندن) وغوطة مرسى ؟(١)
ماالذى تبلغ البراعة من عد (م) السها وهى فى انامل خمس
يعجز الحصر ما أحس واضعا ... ف خوافيه لم يقع تحت حس
عرفوا الله كيف يعبد فى القلـ ... ـب دماً فائراً وعزة نفس
عبدوه منزهاً لاالى (اللورد) ... هووا ركعاً ولا (للبرنس)
عبدوا الحـــق قوة تتلظى ... فى أنوف من أسد خفّان حُمْس
عبدوه فوق الطروس يراعاً ... وخميساً يموج تحت الدرفس

(١) مرسى ترخيم مرسيليا احدى مرافئ فرنسا

ليلة داجيـــة !

للأستاذ خليل هنداوى

وليلة داجية ، والهوى ... كل مناه ليلة داجية
ان كنت لاتدرك سر الدجى ... فاسأل بأسرار الدجى غانية
طوراً نذوّقت الهوى قبلةً ... أبعثُها فى الفسحة السارية
ويرجع الليل صدى قبلتى ... مصحوبة بقبلة ثانية
وتارة تشدو فتجلو المنى ... بنغمة ساحرة شاكية
فيسمع الليل لألحانها ... وليلتى آذانها واعية
تقول هبّت عيون الهوى ... قلت الهوى عيونه ساهية
ان الهوى نسيان ما ينقضى ... كأننا فى عزلة نائية

الصوفى المعـــذب

.. هــذه الذرّةُ كم تحـ ... ـمـل فى العـالم سراً
قف لديها وامـــتزج فى ... ذاتها عمقا وغـورا
وانطلق فى جـوّها المـ ... ـلوء أيمانا وبرا
وتنقّـلْ بين كبرى ... فى الذرارىّ وصغـرى
ر كل الكون لا يفْـ ... ـتُرُ تسبيحاً وذكرى

وانتش الزهرةَ والزهـ ... ـرةُ كم تحمـل عطرا
نُدّيت واسـتوثقت ... فى الأرض أعراقاً وجذرا
وتعرّت عن طرير ... خضـل يفتأ نضرا
سلْ هزار الحقل من أنـ ... ـبته ورداً وزهرا
وسل الوردةَ من أو ... دعها طيبا ونشرا
تَنظرِ الروح وتسـمعْ ... بين أعماقك أمرا

الوجـودُ الحق ما أو ... سعَ فى النفس مـداهْ
والسكون المحضُ ما أو ... ثق بالروح عـراه
كل مافى الكون يمشى ... فى حنـايا الأله
هـذه النملة فى رقـ ... ـتها رجعُ صـداه
هــو يحيا فى حواشـ ... ـيها وتحيـا فى ثراه
وهى إن أسلمت الرو ... حَ تلقتهـا يداه
لم تمت فيها حيـاةُ الـ ... ـله إن كنت تراه

أنا وحـدى كنتُ أسـ ... ـتجلى من العالم همسهْ
أسـمع الخطرةَ فى الذّ ... ر وأستبطىء حسـه
واضطراب النـور فى خفـ ... ـقته أسمع جرسـه
وأرى عيـد فى الور ... د وأسـتقبل عرسـه
وانفعالَ الكرم فى قفْـ ... ـصته أشـهد غرسـه
رب سـبحانك إن الـ ... ـكون لايمدرُ نفسه

صغت من نارك جنيـ ـه ومن نورك إنسه
رب فى الأشراقة الأو لى على طينة آدم
أمم تزخر فى الغيـ ب وفى الطينة عالم
ونفوس ترحم الما ء وأرواح تحاوم
سبح الخلق وسبحـ ت وآمنت وآمن
وتسللت من الغيـ ب وآذنت وآذن
ومشى الدهر دراكا ربذ الخطو الى من..؟

فى تجلياتك الكبـ رى وفى مظهر ذاتك
والجلال الزاخر الفيـ اض من بعض صفاتك
والحنان المشرق الوضـ اح من فيض حياتك
والكمال الأعظم الأعـ لى وأسمى سبحاتك
قد تعبدتك زلفى ذائداً عن حرماتك
فنيت نفسى وأفـ رغتها فى صلواتك

ثم ماذا جد من بعد خلوصى وصفائى
أظلمت روحى.. ما عد ت أرى ما أنا راء
أيهذا العثير القا تم فى صحو سمائى
للمنايا السود آما لى وللموت رجائى
آه ياموت جفونى آه يايوم قضائى
قف تزود أيها الجبـ ار من زادى ومائى
واقترب إن فؤادى مثقل بالبرحاء

يانسيما مشرق الصفـ حة يساقط دونى
نضرت فى قربه نفـ سى وزايلت غضونى
فمشت غائلة «الشـ ك» الى فجر يقينى
قضت اللذة فاستر جعها لمح ظنونى
واستردّ النعمة الكبـ رى من الدهر حنينى
من ترى استأثر باللذ ة واستبقى جنونى؟

أذنى... لاينفد اليو م بها غير العويل
نظرى.. يقصر عن كل ل دقيق وجليل
غاب عن نفسى إشر اقك والفجر الجميل
واستحال الماء فاستحـ جر فى كل مسيل
رجع اللحن الى أو تاره بعد قليل
واختفى بين ظلام الـ مزهر الكل القليل

أم درمان — التيجانى يوسف بشير

الى جانب المدفاة...

تميل روحى على لظاها لتحتسى خمرة الشتاء
لسانها شيمت والشفاها فى شعلة وقدها شفائى
حببت لى النار، فهى عندى غذاء جسمى، وأمن روحى
أودّ تقبيلها لأهدى لها القرابين عن جروحى
نيرانها رقصها غريب كمجهد هده الدوار
ولحنها وقعه مريب ينبئ عن ضعفه اصفرار
أعدت لى رونق الحياة ياواحة التائه الشريد
وقدت قلبى الى النجاة بدفئك المنقذ السعيد
كم أشتهى أن أضم نارك الى السعير الذى بصدرى
ما أسعد القلب فى جوارك حتى ولو بعت كل عمرى..!

مختار الوكيل

العُلوم

بيت يهم بالسجود

للدكتور احمد زكى

تتداعى البيوت الكثيرة فى كل زمان وفى كل مكان، فلا يسمع بها الا الجيران، وان تضمّن سقوطها قتل الانفس والتمثيل بالابدان، فقد يخرج خبرها عن دائرة الجيرة الى دائرة المدينة وقلما يتعدى حدود القطر والأمة. ولكن بيتا فى مدينة « برانتفورد » بكندا همّ بالسجود أو كاد، أوخيل أنه نوى الصلاة أو اوشك ان ينويها، فاهتزت أسلاك العالم تُبرق بالنبأ الى أدانيه وأقاصيه، وحظ البيوت كحظ الرجال، رجل يمرض فيموت فلا يجد من يلفّ عليه كفنا، أو يستر له فى التراب شلوا، ورجل يمرض فيتأوّه خفيفا، فتتردد آهته عالية فى كل بوق من أبواق الاذاعة، ويتأوه معه العالمون.

على انه لابدع ان تعطف الاسلاك البرقية على هذا البيت، وان تضطرب باضطرابه، فهو بيت أسرتها العتيق، مسقط رأسها ومهد طفولتها، وفيه وفى المدينة التى حوله كان لعبها ولهو صباها. ذلك البيت هو بيت « جراهام بل » Bell الذى فيه وُلد أول تلفون عرفه الناس، وفيه امتد أول سلك بأول صوت لانسان.

شكا هذا البيتُ العتيق الارض التى حملته نصف قرن، لا عن نكران ولا جحود، ولكنه إلفُ هذا الهواء.. فلم يكد ينطق بالشكاة حتى أشكاه أهله، فامتدت اليه أيدٍ حريصة تنقله حجرا حجرا برسمه ووضعه، الى أرض أشدّ، ومنزلٍ آمن

وِلد اسكندر جراهام بل عام ١٨٤٧ فى أدنبره عاصمة اسكتلانده، وتعلم فى جامعتها، ثم انتقل الى جامعة لندن ودرس فيها، ثم ساءت صحته فطلب العافية، فنزح مع أبيه الى كندا عام ١٨٧٠. ثم انتقل بعد ذلك الى « بُسنن » بالولايات المتحدة

ولم يكن اختراعه التلفون اتفاقة من اتفاقات الحظ المجدود ورمية من غير رام، وانما كان نتاج دراسة طويلة منظمة وبحث دقيق وصبر شديد. كان أبوه عالماً فى السمعيّات، فاشترك الاثنان فى دراسة الطريقة التى بها ينتج الكلام من فم الانسان، وفى النغمات الموسيقية للاحبال الصوتية التى بحلقه، وفى مخارج الحروف والاصوات فى مختلف اللغات، وفتح الابن مدرسة لتخريج معلمين يعلمون الصمّ الكلام، وكان درّس الكهرباء، واتصل بالفزيائى العالم « هِلمهولتز » Helmholtz فكان من الطبيعى أن يربط بين الكهرباء والصوت، فكان أن طلب مع فزيائيّى عصره تسخيرَ الكهرباء فى حمل الصوت فسبقهم سبقاً قريباً، وحمل اختراعه الى دار التسجيل، وحمل الاستاذ « اليشاجراى » Elisha Gray اختراعا مثله الى دار التسجيل ولكن « بل » سبق « جراى » ببضع ساعات، فكان له السبق، وكان له وحده من بعد ذلك تمجيد القرون

والآن مضت سنوات كثيرة على ذلك، وتبع المخترعَ الأول مخترعون عديدون، قام كل بنصيبه فى تنمية التلفون وتمديده، وأولدوا منه التلفون اللاسلكى، واستعان المولود والوالد على ربط الارض الدوّارة، مشارقها بمغاربها، ويابسها بمائعها وسهولها بأحزانها، فأعدّما بذلك من قيود الانسان قيدَ الزمان وقيد المكان. فأنت تستطيع الآن وأنت فى بيتك أن تتصل فى ساعة بنحو أربعين مليون مشترك مفرّقين فى نواحى الارض المترامية. وقد يقال إن فى هذا الكفاية، ولكن

الانسان أمال لايفتأ يطلب المزيد . مثال ذلك أنه تضجرّ من عاملات التلفون ومن أعناتهن ، فذهبن ، وأصبح التلفون فى كثير من البلاد يعمل من نفسه بدون عاملة ، ولا تمضى سنوات حتى يعم هذا النظام الجديد العالم كله . وشكا طالب الترنك الزمن الذى يقضيه فى الانتظار ليتصل بألمانيا أو امريكا ، فأصغى العلم اليه ، وعن قريب ستتمكن من مخاطبة تلك البلاد والاتصال بها بعد برهات قصيرة من اعتزامك ذلك

وشكا رؤساء الأعمال العالمية الواسعة أنهم كثيرا ما يريدون استشارة مرموسيهم أو وكلائهم أو شركائهم فى البلاد المختلفة فيضطرون الى مكالمة واحد ثم ثان ثم ثالث ، وذلك فى الأمر الواحد ، ثم يجدون بعد ذلك أنهم محتاجون الى مراجعتهم ، وسألوا ألا من سبيل الى اجتماعهم جميعا فى مؤتمر واحد على التلفون ، فقال العلم نعم ، وفعلا جُرِّبت دعوة أمثال هذه المؤتمرات فى انجلترا ، وتحدث المؤتمرون كما لو اجتمعوا فى حجرة واحدة على مائدة واحدة . وساعد على هذا النجاح بالطبع أن هؤلاء القوم اذا تناقشوا تكلم منهم واحد فقط واستمع الباقون



وهناك مطالب أخرى ، وتكهنات أخرى ، وآمال واسعة ترمى كلها الى تمكين الانسان وترفيهه . فمن المحتمل القريب الآن ان يتخاطب اثنان فيمتعان السمع والبصر ، أما السمع فسمع الكلام ، وأما البصر فبصر محيا من تستمع له تُلقى صورته على لوحة أمامك . على ان هذا ان أمتع أناساً فسيزعج لا شك أناساً آخرين . فليست كل الوجوه يُستحب مرآها . وغير هذا فانت اليوم تخاطب من تشاء وانت على أى حال تشاء من لباس أو هيئة ، أما غدا ومحدثك يراك فلا بد من استواء الهندام والهيئة المحترمة ، وغدا ستضطر اذا أردت تبليغ أسفك لشىء أوحزنك على حادثة أن تتكلف الاسف والحزن لا فى صوتك فحسب ، بل كذلك فى وجهك ، وهذا لاشك يزيد فى عَنَت الحياة

على ان العلم حسب حساب كل هذا ، وعرف ضعف النفوس الانسانية كما عرف قوتها ، وعرف كذلك ان تقويم المعوج وتكسير الصحيح لا يقع فى اختصاصه ، لذلك ستجد فى الجهاز الجديد زرّا صغيرا ، تديره شمالا فتحتجب ، وتديره يمينا فتسفر ، فدونك ما شئت من سفور أو حجاب .

احمد زكى

٤ ـ فى البحوث الروحية

للاستاذ عبد المغنى على حسّين

منذ أسابيع ، وجهت إحدى المجلات المصرية إلى عدد من النوابغ المصريين استفتاء فى دعوى مخاطبة الأرواح أيصدقونها أم يكذبونها ، فأعرب البعض منهم عن تشككه فى صحة الدعوى أو نفى لها للاسباب الآتية : —

١ — إن الدعوى لاتقوم على أساس علمى .

٢ — إن واحدا من كبار الباحثين الروحيين غرق فى حادث الباخرة (تيتانيك) ، فلم لم تنبئه الأرواح بالحتف الكامن له فى عرض المحيط ؟

٣ — لم نسمع بان ساسة الدول وقادة الجيوش قد استخدموا الأرواح فى استطلاع مايضمره خصومهم السياسيون والحربيون

٤ — لم نسمع بأن رجال الأمن قد استغلوا مخاطبة الأرواح فى كشف خفايا الجرائم وتعقب المجرمين .

هذا مجمل الاعتراضات . ولكن مع احترامى لقائليها ، لست أراها تذهب بعيدا فى نفى دعوى المخاطبة . أما القول بأن الدعوى لاتقوم على أساس علمى فقول غامض . وما هو ياترى المقصود بالأساس العلمى ؟ إذا كان المراد أن المخاطبة لم تأت كنتيجة منطقية أو رياضية لأحدى النظريات القائمة فى العلوم الطبيعية فالاعتراض صحيح ، اذ المفروض أن المخاطبة مشاهدة تجريبية مستقلة لاتقوم على نظرية علمية سابقة . ولكن من قال بأن النظريات العلمية السابقة يجب أن تكون أساس كل حقيقة علمية جديدة ؟ إن أساس الاسس العلمية هو المشاهدة والتجربة لا النظريات العلمية السابقة .

فى ساعة من ساعات التجلى السماوى ، جلس (جيمس واط) يرقب ابريق الشاى وهو على النار يغلى ويئز ، ورأى البخار يدفع الغطاء من آن لآن فيفتح فرجة يهرب منها ، فتملكت (واط) فكرة استغلال قوة البخار المحبوس ، ومال على هذا المبحث بكل ماأوتى من ذكاء ، وجد فى تهذيب ماسبق فى هذا الميدان من محاولات ساذجة (١) ، فوضع أساس صرح ضخم من البحوث والمخترعات ، وحمل البخار الناس فى البر والبحر وطار بهم فى جو السماء ؛ فهل كان اكتشاف قوة البخار بادىء ذى بدء نتيجة لنظرية علمية سابقة ؟ كلا . لقد كان مشاهدة تجريبية مستقلة .

وفى ساعة من ساعات التجلى السماوى ، تنبه وليم جلبرت من أهالى كلشستر بأنجلترا ، إلى أن الكهرباء (الكهرمان) المدلوكة بالصوف تجتذب خفاف القش ، وقصاصات الورق ، وكان جلبرت ذكى الفؤاد بحاثة ، فجرب وجرب ، ووضع أساس كل ما نعرف اليوم عن الكهرباء ، وما ننعم به من مخترعاتها وبدائعها ومعجزاتها ، فكشف الكهرباء أيضا لم يكن قائما على نظرية علمية سابقة ، بل كان مشاهدة تجريبية مستقلة .

القول إذن بأن مخاطبة الارواح لاتقوم على أساس علمى هو على الأقل قول غامض . أما بقية الاعتراضات فليس لها من الخطر ما لهذا الاعتراض الأول . وهى تفاصيل لأرى التعجل بالخوض فيها ، ولعلها تتعلق بالارواح ذاتها ، وما تستطيع وتحب أن تفعله ومالا تستطيعه أو لاترى فى فعله خيرا . وإذا انجلت هذه البحوث عن إثبات علمى لوجود العالم الروحى ، وعن تقوية للايمان بأوتاد من العلم اليقينى ، فكفى بذلك نفعا ، بل ذلك هو النفع كله ، وهو اللباب الدسم ، أما مازاد عليه فألياف تافهة .

هذه الاعتراضات إذن قد أدلى بها على عجل . ولكن كما أنها لاتذهب بعيدا فى نفى دعوى المخاطبة فكذلك ردودى هذه لاوزن لها كاثبات لصحة الدعوى . إذ الحقائق العلمية لاتقوم على الجدل الكلامى ، وإنما الوسيلة إليها هى البحث التجريبى .

فهل ثمة بحث تجريبى جدير بالاعتبار يجرى فى هذا الموضوع ؟ فى العواصم بأوربا وأمريكا مجامع لهذا الغرض ، أعضاؤها من المثقفين المفكرين ، بينهم المحامى والطبيب والمربى والموظف والصحافى والأديب ، وعدد صغير من أساتذة الجامعات وأفراد من العلماء الأفذاذ . تستحوذ هذه المجامع على وسطاء يزعمون فيهم الأخلاص وطهارة الطوية ، ويدونون تجاربهم فى سجلات ، وينشئون لأذاعتها المجلات . وقد يختلفون فى تفسير الظواهر ، ولكنهم يجمعون بادىء ذى بدء على صحتها ، وانتفاء الدجل منها ، وأنها مفتاح ما استغلق من خصائص العقل البشرى ومدى علاقته بمحيط المادة

ولكن جمهور المفكرين لن يطمئنوا تماما إلى حكم هيئات كهذه فى موضوع خطير كهذا . قد يسلم الجمهور بأن فى الأمر ما يستحق

(١) الثابت أن أول من اخترع آلة بخارية هو مصرى من أهالى الاسكندرية يسمى (هيرو) وذلك فى سنة ١٣٠ قبل الميلاد ، كما أن بعض الأوربيين قد سبق (واط) إلى ترسم خطى المخترع المصري .

البحث ، ولكن البحث الذى يرضيه يجب أن يكون بين جدران الجامعات . الجمهور يعتبر هؤلاء الباحثين ثائرين على العلم الرسمى ، ينشئون داخل مملكته دولة يحكمون فيها باسمه ، مع أنه — بحق أو بغير حق — لا يعترف بدولتهم ولا بأساليب حكمهم . ولكن لما كان رجال من وزراء البلاط العلمى قد انضموا إلى الثوار فقد جل الخطب عن السكوت ؛ وها نحن أولاء نتساءل إلى متى تتحمل الهيئات العلمية الرسمية تبعة شذوذ الموقف ؟ ولماذا لا تجلب على الموضوع بالخيل والرجل ، فاما أن تهلكه وإما أن تضمه تحت جناحها ؟

العلم لا يعترف إلى اليوم إلا بشيئين — المادة وما يحرك المادة من قوى آلية . ولكن الروحيين ينادون بأن فى الكون أيضا قوى خفية ذات عقل وإرادة تؤثر فى المادة فى بعض الظروف . هل لهذه الدعوى من الحق نصيب ؟ سؤال ملح موجه إلى الهيئات العلمية الرسمية .

ويخيل إلينا أن العلم الرسمى قد بدأ يصغى إلى السؤال . فقد تألف بلندن فى الأيام الأخيرة مجمع جديد للبحث الروحى ، أعضاؤه من صميم رجال العلم ، يرأسه البروفسور جرافتون أليوت سميث عضو المجمع العلمى البريطانى والعالم العالمى فى الأنثروبولوجيا (علم أصل الأنسان) وأستاذ التشريح بجامعة لندن . أعلن هذا الرئيس تأليف المجمع بخطاب أرسله لمحرر مجلة اللانسيت (مجلة للعلوم الطبية) ونشر فى عدد ١٣ يناير من تلك المجلة ، وفيما يلى ترجمته : —

سيدى :

صحت كلمة عدد من رجال العلم على تأليف مجمع للبحث فى الظواهر المسماة عادة بالروحية أو غير العادية ، وذلك بالوسائل العلمية التجريبية المتبعة فى علوم الطبيعة والفزيولوجيا . يحدث كثيرا أن يدعى رجال العلم لأبداء رأيهم فى تلك الظواهر فيعجزون عن الأتيان بحجج مستقيمة تبرر موقفهم السلبى ، والاولى بهم لكى يكون موقفهم أكثر التئاما مع الروح العلمية أن يتقدموا لبحث تلك الدعاوى بالوسائل العلمية المعروفة بدلا من أن يقتصروا على نفى وجودها ، والمجمع الجديد ينوى القيام بهذه المهمة تلبية لنداء مجلة (نايتشر) فى مقالها الرئيسى بعدد ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٣٣ (١) قال مستر جيرالد هيرد عضو اللجنة الاستشارية لمجمعنا فى كلمة أذاعها باللاسلكى يوم ٥ يناير ، إن الوقت قد حان ليتنبه العلم الرسمى إلى وجود ظواهر تشذ عن القوانين المعروفة فى العلوم الطبيعية ، ولا تلتئم مع أى نظام مادى ، ولا يصح إغفالها بعد اليوم ، منذ أربعين عاما كان رجال الطب ينكرون الدعاوى الغريبة التى جاء بها التنويم المغنطيسى ، ولكن التجربة والاختبار أثبتا صحة تلك الدعاوى وأهميتها ، وها هو العلم اليوم فى موقف مشابه لموقفه ذاك منذ أربعين عاما . عندما كنت طالب طب بالسنة النهائية ، كان زملائى من الطلبة يسخرون منى لمجرد قراءتى كتابا فى التنويم المغنطيسى ، ولكنى نجحت فى اقناعهم بصحة التنويم بأن نومت كبير الساخرين منى . قد أورد مستر هيرد فى خطابه المذاع باللاسلكى طرفا من تلك الظواهر النادرة الغامضة التى يزعمون حدوثها . ظواهر فيها المجال واسع لكل باحث كفء فى علوم الطبيعة والفزيولوجيا والسيكولوجيا . إن لدى العلم اليوم لأجهزة ووسائل للبحث غاية فى الدقة لم تكن موجودة منذ ثلاثين سنة ، مثل تصوير الاشعة فوق البنفسجية ودون الحمراء ، ومثل أشعة إكس والحاكى ومضخم الأصوات وأشرطة السينما وغيرها مما لم يكن يعرفه الذين بدأوا البحوث الروحية أمثال كروكس وريشيه ولدج . لن نبدأ البحث متأثرين باعتقاد فى الأرواح ولا بأى اعتقاد آخر . وسنسير على النمط الجامعى كما هو الحال فى معامل البروفسور وليم مكدوجال بأمريكا وفى جامعات أخرى بأوروبا . وسنعامل بكل اعتبار أولئك الذين يسمون بالوسطاء . وسيضطرب هذا المجمع فى مستهل حياته حتى يكون مستقلا فى ماليته ، ولكن رجال العلم ليسوا دائما ذوى مال ، ومعلوم أن بين الأثرياء اليوم من يهمهم جدا تشجيع هذه البحوث ، فلعلهم يجودون بسخاء لأقامة المجمع على دعائم مالية ثابتة . ونزولا على إرادة البروفسور مزيز هاريس ، الذى أكد لى أنه يعبر عن رغبة باقى زملائه من أعضاء المجمع قد قبلت أعباء الرياسة ، ولكن ليس معنى هذا القبول أننى أعرف الكثير فى هذا الموضوع ، بل معناه أنى أتعهد بان أجعل البحث جديا وبعيدا عن كل تحيز .

هذا خطاب رئيس المجمع الجديد ، وقد أدلى إلى الصحف اليومية الأنجليزية بأحاديث لا تخرج فى معناها عما بهذا الخطاب .؟

عبد المغني على حسين

خريج جامعة برمنجهام

---

(١) راجع مقالنا السابق بالعدد ٣٥ من الرسالة

القصص

دار الاصلاح

للدكتور محمد عوض محمد

كنا نتذاكر حديث الحسن الموهوب والمجلوب . فقلت لصاحبي : رحم الله ذلك الشاعر العربى القديم ، الذى كان ينادى بأنه ليس ممن يخدعه مظهر الجمال ، ولا يستهويه طلاء مصطنع ، أو رواء متكلف ، ولا يفتنه حسن مجلوب بتطرية . أو جمال مشترى من دكان العطار . وكأنى أراه إذ يجلس على دكة أمام داره يتأمل الوجوه الحسان إذ تروح وتغدو ، فاذا رأى وجها عليه من التجمل أكثر مما به من الجمال ، أقبل على جلسائه ضاحكا ، وأنشدهم من شعره أبياتاً ساخرة ، يختمها بالسؤال المشهور :

« وهـــل يصلح العطار ما أفسد الدهر ؟ »

وكان يلقى السؤال فلا يسمع من جلسائه سوى الاستنكار . . ذلك أن الناس فى ذلك الزمان قد حكموا على العطار المسكين حكما قاطعاً ، بأنه عاجز كل العجز ان يصلح ما أفســده الزمان . . . . وأكبر ظنى أن العطار نفسه — وان أنكر هذا الحكم جهاراً — قد آمن به سراً .

فقال صاحبى : غير أن هذا الحكم الصارم ما هو الا كسائر الاحكام ، عرضة لأن يتغير ويتبدل ، حين يتغير الزمان والمكان ، ولم يبق لدى اليوم شك فى أننا بتنا فى زمن قد علت فيه دولة العطار ، وتألق نجم عزه ، وأصبح قادراً على أن يثبت أن فى وسعه إصلاح ما أفسده الزمان .

فأنصت إلى كى أحدثك عن (دار الاصلاح) . فان حديثها طريف معجب . . قصدت فى الصيف الماضى الى بلاد الانكليز ، وقضيت شطراً من الزمن فى عاصمتهم ، وأنت تعلم أن من عادتى أن أقضى الصيف فى مدينة النور ، غير أنى اضطررت هذا العام أن أستبدل بها مدينة الظلام . ولا أحسبنى آسفاً على زمنى الذى قضيته هناك .

أما الدار التى أدعوها (دار الاصلاح) فقد كان من أمرها انى ذهبت ليلة ألتمس ملهى أقضى فيه المساء . فجعلت أطوف بشوارع لندن ذات الطول والعرض ، متنقلا بين اكسفورد ستريت الى شافتسبرى أفنيو ، الى بيكاديلى ، الى لستر سكوير . . متأملا المسارح ظاهراً ، ومستفسراً عما اشتملت عليه باطنا ، حتى وقعت عينى على مسرح (الحمراء) ، فأعجبنى منه ذلك المظهر الشرقى المتقن ، كما أعجبنى ما بداخله من نقوش عربية بديعة ، فيها ما يكفى لتبرير ذلك الاسم الأندلسى . وكانت به عندئذ جماعة من الراقصين الروس وهم حــديث الأندية فى لندن فى ذلك الوقت . فلم يطل ترددى وبادرت بشراء تذكرة .

ونعمت ليلتى تلك بمشاهدة رقص عجيب ، والانصات الى نغمات موسيقية شائقة . فلقد نبغت تلك الجماعة فى محاكاة الموسيقى الدقيقة العويصة بحركات جسدية ناطقة . وفى ترجمــة النغمات المطربة المشجية الى وثبات وخطوات واهتزازات ، تكاد تفوقها شجواً وطرباً وابداعا . ولست أنسى حتى الساعة كيف مثلوا لأعيننا (الحظ) بحركات الراقصين والراقصات على عزف الآلات ، فكنت كأنما أرى بعينى - مجسما أمامى - كيف يقبل الحظ ، فاذا السعادة قد ملأت الكون ، واذا الوجوه تطفح بالبشر ، واذا السرور باسط جناحيه ، ثم نراه بعد ذلك مدبرا ، فاذا السرور قد استحال حزنا ، واذا العالم قد امتلأ هموما وشجنا .. ولا حاجة بى الى الافاضة فى ذكر ذلك الرقص ، الذى لم يكن له صلة بدار الاصلاح ، لولا أننى فى فترات الاستراحة كنت أنظر فى كراسة اشتريتها قد اشتملت على برنامج الحفلة ، وعلى كثير من الاعلانات . وكانت الفترات طويلة فأعدت قراءة هذه الكراسة مرارا . ولم يفتنى مما بها شىء . وقد لفت نظرى اعلان بها عن (دار الاصلاح) : فرأيته يزعم أنها دار معجزات ، تدخلها العجوز الشوهاء ، فتخرج منها غانية حسناء . .

وكأن ليس بالعالم دمامة مهما قبحت ، ولا سحنة مهما انقلبت ، إلا وفى وسع أصحاب هذه الدار أن يحيلوها الى حسن باهر وجمال بارع ، ويزعمون أن ليس الاصلاح لديهم من سبيل الترقيع الذى يزيد القبيح قبحا ، والدميم دمامة . بل هو اصلاح شامل كامل ، يلف المرء من قمة رأسه الى أخمص قدمه ... قرأت هذا كله فابتسمت ابتسامة الساخر . وعند مغادرتى المسرح هممت بأن ألقى بهذه الكراسة بعيدا ، ولكنى لم أفعل ، بل طويتها باعتناء ووضعتها فى جيبى . وكأنما كنت حريصا ألا يضيع منى عنوان تلك الدار .. فمن يدرى لعلى يوما أن تثور نفسى على هذه الصورة التى صحبتنى كل هذه السنين فأريد ان أستبدل بها صورة أحسن منها ..

ومضت على تلك الليلة أيام قلائل . وإنى لجالس فى صباح يوم اطالع (التيمس) فى شىء من الكسل ، اذا بصاحبة الدار تعلن إلى أن صديقاً يريد أن يرانى . وكانت دهشتى غير قليلة حين رأيتنى أصافح صديقى عيسى الذى تركته فى القاهرة ، وكنت أحسب أن بينى وبينه أقطاراً وبحارا .. « عجبا ماالذى أتى بك ؟ »

فحدثنى أنه قضى أياما فى البحث عنى ، حتى اهتدى بعد لأى الى مكانى ... ولقد غادر مصر فجأة حين نصحه أصدقاؤه أن يلتمس علاجا فى هذه البلاد لتلك الحال القاسية التى لم يعد يطيقها . ذلك ان المسكين قد زاد وزنه ، واكتسى اللحم والشحم طبقات بعضها فوق بعض .

فقلت له حييت أيها الصديق ، وأيا كانت الدوافع التى جاءت بك الى هذه الديار ، فانها من غير شك دوافع قوية حتى تستطيع ان تحرك هذا الجسد العظيم - فمرحبا بك على كل حال ... ولست أدرى ياعيسى هل يتاح لك ان تظفر ببغيتك فى هذه البلاد . إننا قد سمعنا من قبل عن معجزات الانبياء رضوان الله عليهم الذين استطاعوا أن يبرئوا الاكمه والابرص ، وأن يحيوا الموتى باذن الله .

ولكن لم نسمع بعد بالانبياء الذين يستطيعون ان يجعلوا منك شابا رشيق القوام .

قال أحسبك قد نسيت أننا فى زمن العلم والاختراع ، وفى عصر الكهرباء والبخار . ولو انك تذكر هذا لما استكثرت على العلم الحديث هذه العملية اليسيرة التى تدعوها معجزة .

قلت حقا إن فى عصرنا لمعجزات كبرى . فلقد استطاع البخار ان يحملك من غير عناء كبير ، حتى أبلغك هذه الديار . ولكن قل لى بأبيك ، أليس من نكد الدنيا على الحر ان مثلك لايدفع ثمنا لنقله من مصر الى لندن اكثر مما يدفعه مخلوق ضئيل هزيل مثلى ، ولو كان فى العالم إنصاف لاقتضوك الثمن أضعافا مضاعفة . فان عشرة من أمثالك على ظهر باخرة ، لخليقون أن يحولوها عن مجراها فتشرق بدلا من ان تغرب ، وتميل الى افريقية بدلا من أن تتجه نحو لندن

فقال انك ما زلت فى ضلالك القديم ، ولم تلطف حلاوة هذه البلاد من طبعك الحامض .. فاعلم اذن أن الأمر عكس الذى توهمت . فان أصحاب البواخر يغتبطون لوجود الركاب ذوى الوزن الثقيل ، لأن هذا مما يجعل السفينة تمشى فى رزانة واتزان . ولو لم يتح لهم أمثالى ، لاضطروا أن يستعيضوا عنا بعدد عظيم من أكداس الرمل يجعلونها فى قاع السفينة ... والآن هلم بنا ننطلق الى إحدى تلك الدور التى يدعونها معاهد الجمال . فقد سمعت أن فى هذه المدينة منها عددا ليس بالقليل . وأفهمت انهم يستطيعون أن يحيلوا المرء إلى أية صورة شاء .

عند ذلك ذكرت الليلة التى قضيتها فى (الحمراء) . وتناولت تلك الكراسة . وقلت لصاحبى — وأنا أحاوره — لست أدرى أيليق بنا أن نسمى تلك الدور معاهد الجمال . أو ليس الأقرب الى الصواب أن ندعوها معاهد الدمامة ؛ إذ لا يؤمها من الناس الا من كان مثلك يحاول اصلاح ما أفسده الدهر . وإنى لهذا السبب قد سميتها دور الاصلاح ، وقد ألقت المصادفات فى يدى اعلانا عن واحدة من تلك الدور . ولست أضن عليك بأن أصحبك اليها . . .

***

وقفت بنا السيارة أمام دار فى حى (سوهو) لاينم ظاهرها المتواضع عن باطنها الفخم . وكان استخراج عيسى من بطن السيارة ليس بالأمر اليسير . ولقد نفحت السائق نفحة حاتمية جعلته يغض الطرف عما عانته سيارته من جهد ومن عناء . وقد علمتنى التجارب أن الدراهم خير لجام للأفواه فى لندن كما فى سائر البلدان .

ودخلت الى دهليز الدار أجر معى هذا الكثيب العظيم من اللحم والشحم . فأسلمنا الدهليز الى فناء فى جوانبه أرائك وكراسى ، وقد طلب الينا أن نجلس قليلا ريثما يؤذن لنا . فاخترت لعيسى من الكراسى أصلبها عوداً وأشدها مراسا . وجلسنا نتأمل فيما حولنا فرأينا فناء مفروشا بشىء كبير من الذوق وحسن اختيار للألوان ، وكان يغلب فيه اللون الأزرق والأحمر ، وعلى الارض وفوق الجدران بسط وطنافس شرقية . وفى أحد الاركان موقد لم يكن به نار ، بل كان مستوراً بغطاء مزخرف ، وفى هذا الفناء خمسة أبواب يفضى كل

منها الى حجرات عديدة ، وفى ناحية منه سلم ينتهى الى الطوابق العليا

فقلت لصاحبي محاورا : إن اليوم لشديد الحرارة ، وأراك أخذت تتصبب عرقا . فعسى هذا الحر أن يذيب قليلا من هذا الشحم لكى تقل نفقات (الاصلاح) . . . على أنى لو كنت مكانك لادخرت هذا العرق الى حين تلقى المدير الأعظم لهذه الدار . فانه سيفاجئك بامتحان عسير ، لم يكن ليخطر لك ببال . علمت أنهم سيطلبون اليك أن تجلس على كرسى واطىء ، وأن تضع رجلك اليسرى على اليمنى ، وتلفها حولها لفا محكما ، وأن تميل برأسك الى الامام حتى تمس به ركبتيك ؟ ثم تستلقى على ظهرك من غير حراك ، ويؤتى بدبابة متينة فيمرون بها على بطنك ذهابا وايابا . أجل ، هذا وأمثاله من الأمور التى ليس لك عنها مفر - فاستبق عرقك إذن ، فانك فى حاجة اليه . ولا تظن أن فى قولى هذا غلوا . فان الاصلاح ليس بالشىء الهين . . . سل المصلحين قديما وحديثا ينبئوك أن إصلاح بنى الانسان من أشق الأمور . . وناهيك بالجوع الشديد الذى لابد لك أن تشق به بضعة أشهر ، تحرم فيها الطعام والشراب الا قليلا . فلا يكون لك مندوحة عن أن تأكل من لحمك ودمك كما يفعل العشاق .

وعلى ذكر العشاق ، لقد هممت أن أقترح عليك العشق علاجا شافيا مما ألم بك ، فلقد يزعمـــون أن الهوى باعث على النحول والانضمار — خصوصا إذا بلغ المرء فيه مرتبة الشغف والهيام والوله — ولقد هممت أن أسألك أن تعشق لكى تكتسب النحول والرشاقة . ولكنى راجعت نفسى وذكرت أن الحب لن يصيب أمثالك ، فانه سيلقى من دون قلبك هذا السور المنيع من الدهن والدسم ، الذى لا تنفذ منه سهام الحب ، ولا تخترقه قنابل الغرام . . . وأى حب يحترم نفسه يرضى أن يسكن مثل هذا المنزل ؟ اذن لم يبق بد من تلك الطريق الوعرة التى تساق اليها الساعة .

هذا وقد جعلت أتأمل فيما حولنا من الناس ، فاذاهم مجموعة من الكائنات ما كنت أحسب أن فى العالم حجرة تستطيع أن تضمهم جميعا . قد كان عن يمينى زنجى مفلفل الشعر أسود البشرة . وعن يسارى رجل من المغول أفطس الأنف ، أصفر الجلد مائل العينين ؛ وكان هناك نساء ورجال . ليس فيهم من لم يرزق من شذوذ الخلق طرافة نادرة وتحفة عجيبة . وقد جاءوا جميعا ينشدون (الاصلاح) .

ولم يطل جلوسنا ، حتى ذهبوا بنا الى احدى الحجرات ، فاذا نحن أمام امرأة نصف ، مليئة القوام ، مستديرة الوجه ، ضاحكة السن ، قد قصت شعرها الأسود الحالك قصا محكما ، بحيث أصبح رأسها المستدير أشد استدارة . ولم تكد ترانا حتى هشت لنا وبشت . وقالت : أما صاحبك فلست بحاجة لأن أسالك ماخطبه . . . وأما أنت فما أكاد أتبين ما تشكوه . . . لعلك تشكو اعوجاجا قليلا فى الأنف . فان به ميلا يسيرا عن (السمترية) . . . وعلاج هذا أمر هين . فان لدينا عددا من الجراحين ذوى أيد صناع ، لاهم لهم فى الحياة غير تقويم مااعوج من الأنوف . وتخفيض ماتأمنها ومابرز ، ورفع الافطس منها واعلاء شأنه بين الملأ ، ولقد يصادفون فى هذا السبيل عقبات لكنهم يتغلبون عليها ، برغم أنفها . . . !

وأعجب شىء لدينا رجل من الصين ذو أنف شديد الفطس حتى لاتكاد تراه ، وكأنما الناس قد اتخذوا وجهه مقعدا أو متكأ ، وكنا أول الامر عاجزين عن معالجته بما لدينا من الآلات ، لكننا الآن قد اتخذنا له آلات خاصة ، ولا شك عندنا فى النجاح العاجل فيخرج هذا الصينى من معهدنا بأنف معتدل جميل ، يستطيع ان يشق به لنفسه طريقا فى الحياة . . أما أنت فخطبك يسير جداً . . . حدق فى وجهى ! . . إن ميل أنفك عن السمترية لا يتجاوز الخمس درجات . . . .

هكذا أخذت تحدثنا هذه المرأة . ولكنى كنت راضيا عن أنفى ، ولم يكن لى فى إصلاحه مأرب . . فسألتها أن تعنى بصاحبى ، وتبذل له كل مافى دارها العظيمة من وسائل الاصلاح ؛ حتى يعود رشيقا نحيل القوام . فنادت خادما وسألتها أن تذهب بصديقى الى المكتب الثانى عشر . فانطلقا وبقيت مكانى ، لا أدرى ماأفعل . . فقالت اجلس فان صديقك سيعود بعد لحظة .

فاستطيع متى وصلنى التقرير عنه أن أخبركما عن مدة العلاج والأجر الذى نتقاضاه . ان معهدنا هذا قد اشتهر أمره حتى بات كعبة القاصدين من أطراف العالم . أما أنتما فلا أشك فى أنكما من أهل مصر . فقد أصبحت لكثرة ما رأيت من الوجوه لا يكاد يخفى على أمر أحد . ان علم الجمال العملى قد ارتقى ، حتى أصبح لدينا علاج ناجع لكل شائبة تشوب الجسم وتنقص من حسنه . ولدينا أقسام تعنى بالقوام ، وأخرى بالشعر وبالوجه وبسائر الجوارح والاعضاء . ولدينا قسم جليل الشان همه أن يكسب الكهول من رجال ونساء رونق الصبى ومظهر الشباب ، وكم من غانيات قد خرجن من

هذا المعهد ، وقد لبسن فيه حلل الجمال والدلال . . .

عند ذلك قاطعتها وقلت لها متحمسا : بالله لا تذكرى الغانيات ، فانما الغانية هى من تستغنى بطبع جمالها عن التطبع ، وبحسنها الموهوب عن المجلوب . . .

قالت : ذلك المذهب القديم أيها الصديق . أما غانية اليوم فهى التى تستطيع انفاق قدر زهيد من المال فى هذا المعهد النافع ، فتصبح من الغوانى الحسان .

قلت : هذا لعمرى مذهب أخرق ، وخداع تخدعون به الناس .

قالت : لعلكم متى رخص الجمال ، وأصبح فى متناول النساء جميعا ، أن تثوبوا — معشر الرجال — الى رشدكم ، فلا تعبدوا جمال الجسد تلك العبادة المزرية . ولعلكم أن تفكروا قليلا فى جمال الروح . . .

وأظنى قد أفحمنى هذا الرد . فقد سكت لحظة لا أحير جوابا ، ورجع عيسى وبيده ورقة ، تناولتها وقرأتها ، وقالت : ان (اصلاح) صديقك سيتم فى مدى شهرين ، وسيكلفه هذا الاصلاح خمسين جنيها .

* * *

قال صاحبى : ولقد رجعت منذ أسابيع ، ومعى عيسى وقد غدا فتى رشيقا نشيطا ، وسيما قسيما . . . ألست ترى الآن أن دولة العطار قد ارتقت ، وأنه قد استطاع أخيراً أن يصلح ما أفسده الدهر ؟

قلت : بلى ، ولكن ألست ترى أنك قد بالغت فى تنميق قصتك وتزويقها ؟

قال : وهل تحسبنى من أولئك الطغام الذين يقصون عليك الحديث كما جرى ؟

قلت . معاذ الله أن تكون منهم . على أنى سأذكر دائما ما قالته لك تلك المرأة فانه سيجىء يوم لا يأبه الناس فيه لجمال الجسد ويلتمسون فيه جمال الروح ، وعندئذ قد يكون لمثلك ومثلى فى الحياة شأن غير هذا الشأن .

شهر بالغردقة

للاستاذ الدمرداش محمد

مدير ادارة الامتحانات والسجلات بوزارة المعارف

١ — فى الطريق الى الغردقة



الطريق من القاهرة الى الغردقة

بعد أن اجتزنا ابا زنيمة فى طريقنا الى دير سانت كاترين فى سيناء شتاء سنة ١٩٣١ وصلنا الى ربوة تشرف على البحر، وكانت الشمس عندئذ تؤذن بالمغيب آخذة فى الاحتجاب وراء جبال صحراء العرب على الشاطىء الآخر لخليج السويس، فبدت هذه الجبال وقتها والشمس وراءها واضحة جليـة برؤوسها العالية مرصوصة فى خط طويل مواز للبحر، وكان جبل الشايب بهامته الشامخة فى الوسط ابرزها ارتفاعا واعظمها جلالا وفخامة — كان المنظر بديعا اثار فى نفسى رغبة شديدة لزيارة هذه المنطقة، الا ان تنفيذ هذه ارغبة لم يكن حينئذ بالامر السهل، فالشقة بعيدة، والانتقال اليها فيه صعوبة ونفقة كبيرة، فمكثت انتظر الفرصة الى أن سنحت صيف هذا العام بعد ذلك بسنتين، فقد تفضل صديق العالم النابه الدكتور محمد عبد الخالق بك، فدعانى لمرافقته فى رحلة علمية الى الغردقة على البحر الاحمر، حيث مكثنا شهرا كاملا كانت كل أيامه بركة على العلم وعلينا. فالابحاث العلمية الطريفة والتجارب الدقيقة التى قام بها الدكتور عبد الخالق بك على أسماك البحر الاحمر وحيواناته ملأت نتائجها مجلدا ضخما كما ضاق عن نماذج الاسماك والطفيليات التى جمعها ماكان معنا من صناديق وحقائب. ثم كانت رحلاتنا العديدة الى البحر والبر، فمن مناطق المرجان العجيبة الى المنشآت العظيمة لشركة البترول بالغردقة، وشركة الفوسفات بسفاجة، ثم الى الكتلة الجرانيتية الهائلة لجبل الشايب ثم اختراق السلسلة الجبلية الوعرة الى قنا على النيل.

كل هذا وغيره سأحاول أن اصفه فى ايجاز، راجيا أن أوفق فى رسم صورة تقريبية لمعالم هذه المنطقة المنعزلة التى لا نعرف عنها الكثير ولا القليل

كان فجر يوم الخميس ٦ يوليه سنة ١٩٣٣ موعدا للقيام بالرحلة، فاقلتنا السيارة من القاهرة الى السويس عن طريق الصحراء، فبلغناها ضحى، ثم توجهنا الى ميناء الزيت احدى نواحى ميناء السويس حيث كانت باخرة الزيت أرتيناشل (١) راسية فنقلنا اليها ما أحضرناه من متاع وأجهزة، وقبل الظهر بنصف ساعة وصل الربان وأعطى إشارة القيام، فسارت بنا الباخرة نحو الجنوب وسط جو هادىء وبحر ساكن، وبعد قليل دعينا لتناول الطعام مع الكابتن بيس (Cap. Peace) ربان السفينة فتلقانا فى حجرة المائدة مرحبا وتبسط معنا فى الحديث وأفاض بكلام رقيـق تتخلله النكتة الرائقة والفكاهة الحلوة، وبعد أكلة شهية اجتمعنا على السطح، وأخذنا نشاهد معالم الشاطىء من خلجان وجزر ومنارات وجبال، وفى الأصيل تناولنا الشاى، وعند الغروب تعشينا ثم قضينا سهرة لطيفة فى لعب ومسامرة.

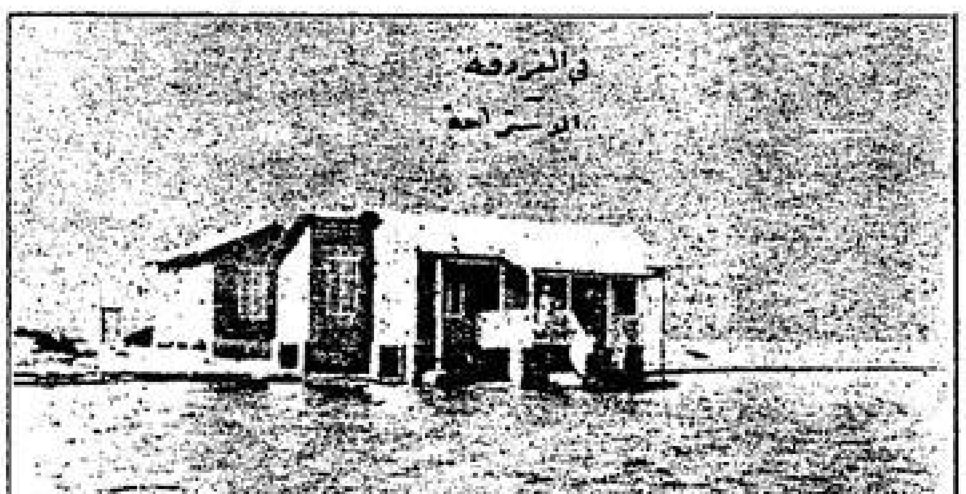
كان الوقت صيفا، فنمنا على السطح، واستيقظنا فى اليوم التالى مع بزوغ الشمس، وكانت السفينة تسير عندئذ امام رأس محمد، الطرف الجنوبى لسيناء، ثم أخـذ البحر أمامنا فى الانفراج وبعد قليل اختفى الشاطىء الشرقى عن الابصار، ثم مال بنا الطريق نحو الجنوب الغربى، ودخلنا مضيقا واسعا فى الغرب من جزيرة شدوان، وعند الساعة العاشرة صباحا لاحت فى الأفق معالم الغردقة، نقط بيضاء وخطوط سوداء، عبارة عن خزانات الزيت وابراج الآبار - وقبيل الظهر مرت الباخرة أمام الطرف الشمالى لجزيرة الجفاتين، ثم دخلت الميناء بسلام ورست حذاء رصيف خشبى يحمل انابيب كبيرة تتصل بالشاطىء، وذلك للشحن والتفريغ: شحن الباخرة بالزيت، وتفريغ الماء العذب منها

(١) Ortena Sheit باخرة كبيرة من بواخر شركة شل معدة لنقل زيت البترول الخام من الغردقة الى معامل التكرير بالسويس. سرعتها ٨ أميال فى الساعة وتقطع المسافة بين السويس والغردقة وطولها ٣٢٠ كيلو مترا فى ٢٤ ساعة أو ٢٧ ساعة ولا تقبل من المسافرين الا عددا قليلا ولا يباح فيها السفر الا بترخيص خاص من مدير الشركة بالغردقة

يشرف على الميناء. امام الرصيف منزل انيق ، يقيم فيه مدير الشركة ، وخلفه على ربوة عالية خزان ضخم (فنطاس) يسيل الزيت الخام منه الى احواض الباخرة عند الشحن - وعلى مسافة قليلة من الميناء مكاتب مصلحة الحدود يرفرف على ساريتها العلم المصرى الكريم

نزلنا الى البر وركبنا السيارات ، فانطلقت بنا الى محطة الاحياء المائية على عشرة كيلو مترات جهة الشمال ، والطريق إليها مرصوف ينحنى فى اوله ليدور حول تل عال مشرف على البحر ، ثم يستقيم ويخترق منشآت شركة الزيت : فأبراج عالية هنا وهناك على اليمين وأخرى على اليسار ، ومساكن العمال والمسجد والكنيسة ، ومكتب البريد ، ومكاتب الشركة ومصانعها ثم «فيللات» الموظفين والنادى كلها منثورة فى فضاء واسع تتخللها الشوارع المنتظمة ، والحدائق النضرة بهندسة جميلة تجعلها شبيهة بمبانى مصر الجديدة

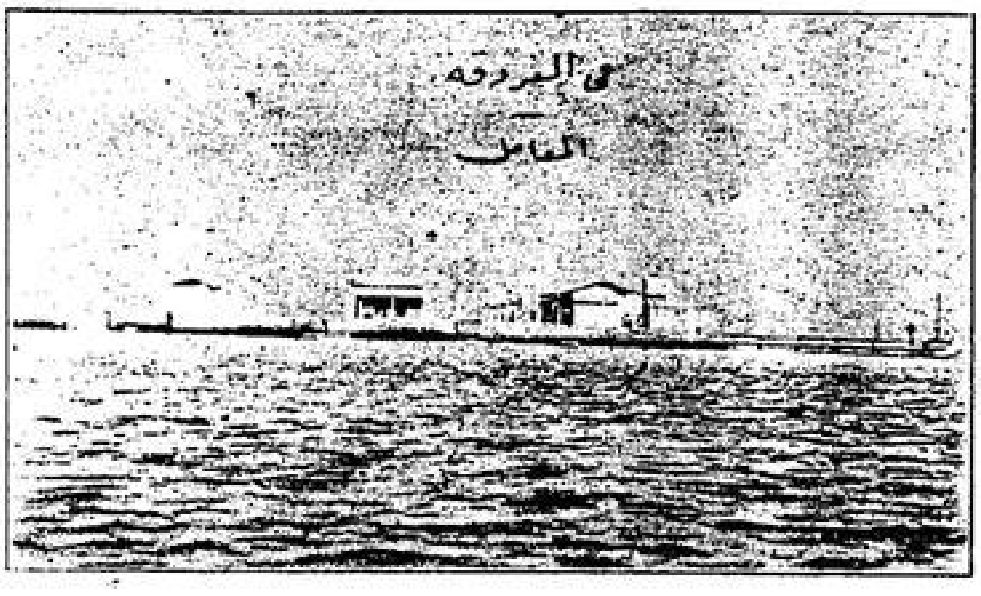
وصلنا المحطة بعد نصف ساعة ، ونزلنا ضيوفا على الدكتور كرسلاند Dr. Crossland مديرها فتفضل ودعانا للطعام ، ثم بعد ذلك انتقلنا إلى الاستراحة التى اعدت لاقامتنا



٢ — فى محطة الاحياء المائية

محطة الاحياء المائية شيدتها الجامعة المصرية على البحر الأحمر منذ ثلاث سنوات لتمكين علماء البيولوجيا من اجراء ابحاثهم المتعلقة بالاحياء البحرية فى نفس المواطن التى تعيش فيها .

وتشغل مبانى المحطة بقعة واسعة من الشاطىء على بعد خمسة كيلو مترات من مبانى الشركة ، وقد بلغ ما أنفق على تشييدها واعدادها حتى العام الماضى نحو خمسة عشر ألفاً من الجنيهات . وكل مبانيها من الخشب على شكل الاكشاك مقامة بالقرب من البحر أو داخلة فيه . فمنزل المدير والمكتب والاستراحات ومنازل الموظفين والعمال على الشاطىء فى ثلاثة صفوف تواجه البحر ، ثم المعامل وقد أقيمت داخل البحر على مسافة مائتى متر من الأرض تصل اليها على رصيف مبنى فى الماء.



وقد لوحظ فى اختيار المكان وقوعه بالقرب من منطقة بحرية غنية بالمرجان ، كما أن قربه من شركة الزيت كفل للمحطة الحصول على الماء العذب الكافى للشرب وللتجارب العلمية ، وكذلك حاجات المعيشة كما جعل اتصالها بالسويس بواسطة السفن ميسورا مرة كل أربعة أيام — ويؤتى بالماء العذب وبالاطعمة على اختلاف أنواعها من السويس فى بواخر الشركة كما يؤتى أحيانا بالطيور والخضروات من قنا فى السيارات — وتدير الشركة مصنعاً للثلج ومخبزاً كامل المعدات . وبالجملة فان أسباب المعيشة بالغردقة موفورة لدرجة كبيرة تنسيك انك تعيش فى منطقة كانت من ثلاثين سنة مضت بلقعاً لا تجد فيها غير بعض أكواخ حقيرة يسكنها جماعة من صيادى السمك المساكين الذين يجوبون الشواطىء المصرية فى طلب الرزق عن طريق الصيد أو تهريب الممنوعات .

(يتبع) الدمرداش محمد

مواقف حاسمة فى تاريخ الاسلام

بقلم الاستاذ محمد عبد الله عنان المحامى

ظهرت الطبعة الثانية بعد أن نقحت وحققت وضمت اليها بحوث جديدة ، يقع فى ٢٦٠ صفحة من القطع الكبير طبع دار الكتب وثمنه ١٥ قرشا عدا اجرة البريد ، ويطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

العالم المسرحي والسينمائي

فلم « الاتهام »

لناقد « الرسالة » الفنى

فى الاسبوع الماضى عرض فلم مصرى جديد ، هو ثالث الافلام المصرية التى عرضت هذا الموسم ، ونعنى به فلم « الاتهام » لشركة فنار فلم ، التى دعت رجال الصحافة لمشاهدته فى حفلة خاصة قبيل عرضه على الجمهور .

ولعل هذا الفلم هو أول شريط مصرى نجد فيه موضوعا ، أو حادثة إذا شئت ، محبوكة الاطراف ، منسجمة الوضع ، تسير من البداية الى النهاية فى تسلسل طبيعى معقول ، فخلا بذلك مما كان يؤخذ على الأفلام المصرية عامة من تفاهة الموضوعات التى تعرضها وعدم استقامة الحادثة وارتباكها ، مما كان يجعل هذه الافلام تافهة من الناحية الفنية القصصية ، ويجعل الارتباط بين مشاهدها المختلفة مضطربا يتلمسه المشاهد تلمسا ويكاد لا يفهمه ، وفى ذلك ما يقلل من قيمة الفلم نفسه ، بل يجعله فاترا مملولا ليست فيه هذه الحرارة التى تدفع المتفرج الى تتبع مشاهده والاندماج فيها والتأثر بها .

ففلم الاتهام ، سد من هذه الناحية نقصا كبيرا ، وتضمن حادثة وموضوعا يستطيع ان يلمسهما المتفرج فى غير عناء ولا مشقة ، ويمهد سياق الحادثة من ناحية أخرى ، بوقائعها المتتالية ، مشاهد تمثيلية رائعة لابطال الفلم يظهرون فيها مقدرتهم الفنية .

على أن الموضوع ليست له هذه القيمة الفنية التى نعلقها عليه ، ولكنه فاز برضاء الجمهور بفضل هذه المفاجآت السينمائية التى تجعل المتفرج لا يمل العرض ، ومن المعروف أن القصة ، مسرحية كانت أم سينمائية ، اذا لم تثر اهتمام المتفرج سقطت . وفى فلم « الاتهام » هذه المفاجآت التى تجعل المشاهد طول مدة العرض متيقظ الحواس والمدارك لا يفوته منه مشهد الا ويثير اهتمامه بما يليه ، ومن هنا نجح الفلم هذا النجاح الملحوظ الذى يستحق عليه أصحابه كل شكر وثناء . ونريد أن نخص بالذكر هنا السياق الفنى البديع الذى ظهرت به حادثة القتل والسر فيها ، فقد بقى محتفظا به الى اللحظة الاخيرة ، الى ساحة المحكمة حيث المتهمة فى القفص وكل الأدلة تقوم على اذانتها ، وفجأة تظهر الحقيقة ، ويعترف المجرم بجرمه ، ويرى المشاهد كيف ارتكبت الجناية ، فيكون لذلك تأثيره فى نفسه . وهذا المشهد هو أبدع مشاهد الفلم ولا شك من الناحية الفنية السينمائية ، وقد أحسن حبكه وعرضه بمهارة تدل على كثير من الحذق والدراية بأصول الفن السينمائى

اشتركت نخبة طيبة من الممثلين والممثلات فى القيام بادوار هذا الفلم وعلى رأسهم السيدة بهيجة هانم حافظ وقد نزلت الى ميدان العمل الحر بنفس ملؤها الثقة وروح مفعمة بالأمل والرجاء ، وقد حققت الايام ما كانت ترجوه لنفسها من نجاح ، وللفن الذى قصرت عليه جهودها من توفيق وفوز .

ظهرت السيدة بهيجة هانم لأول مرة على الشاشة الفضية فى دور « زينب » فى الرواية المعروفة بهذا الاسم للدكتور محمد حسين هيكل بك ونجحت فى دورها نجاحا شجعها على تكوين شركة سينمائية ، هى شركة « فنار فلم » التى تقدم ذكرها والتى يتولى إدارتها الأستاذ محمود حمدى بكفاءة نادرة جعلتها فى مقدمة شركاتنا السينمائية المصرية . وقد أخرجت هذه الشركة قبل اليوم فلم « الضحايا » ، وهذا الفلم « الاتهام » هو فلمها الثانى . وقد قامت السيدة بهيجة بدورى البطولة فى الفلمين . وكان توفيقها فيهما كبيرا الى درجة تغبط عليها حقا ، فهى تلجأ فى مواقفها على الشاشة الى البساطة التى هى ميزة الممثل الماهر الذى لا تحس فى تمثيله تكلفا أو تصنعا ، بل يعيش فى دوره ويندمج فيه حتى ليتلاشى الممثل ولا يبقى الا هذا الشخص الذى تراه على الشاشة بطلا من أبطال الحادثة .

والسيدة بهيجة ، فوتوجنيك ، فلها هذا القوام المتسق البديع ، وهذه القسمات والملامح الواضحة التي تظهر على الشاشة فاتنة أخاذة وعين ، الكاميرا ، دقيقة قوية تسجل الهنات والصغائر وتجسمها ، ولا تعوض الكفاية هذا النقص الذي يبدو في صورة الممثل أو الممثلة ، والسيدة بهيجة من هذه الناحية كثيرة التوفيق ، توفرت فيها كل الشروط التي تؤهلها للتمثيل السينمائي ، وللنجاح فيه ، سواء من ناحية المقدرة الفنية والاستعداد لاخراج الشخصية التي تمثلها اخراجا دقيقا ماهرا ، أو من ناحية التصوير والظهور على الشاشة في صورة بديعة فاتنة . وللسيدة بهيجة فوق هذا صوت متزن النبرات حلو النغم ، سلس الأداء ، سمعه الجمهور في هذا الفلم لاول مرة ، لأنه أول فلم ناطق تشترك فيه .

ولعل من الخير ان نذكر هنا ان السيدة بهيجة اشتهرت وعرفت قبل عملها في السينما بموهبتها الموسيقية ، وقد نالت سنة ١٩٣٠ دبلوما في الموسيقى من باريس . ومن المعروف أنها وضعت موسيقى جميع الافلام التي اشتركت فيها ، وقد سجلت هذه الالحان على الاسطوانات الغنائية . وهذه الانغام الساحرة التي سمعها الجمهور أثناء عرض افلام « زينب » . و « الضحايا » و « الاتهام » هي من وضع السيدة بهيجة . ولها في هذا الفلم الاخير مقطوعات عديدة تعد من أحسن ما وضعت والفت الى اليوم .

ونحن نسجل هنا مغتبطين هذا النجاح العظيم الذي نالته في فلمها الجديد بتمثيلها وموسيقاها ، ونرجو ان يكون لهذا الاقبال من الجمهور على مشاهدة الفلم صداه في القريب العاجل فنرى قريبا فلما جديدا لها

قامت السيدة زينب صدقي بأحد الادوار الاولى في الفلم ، والسيدة زينب ممثلة معروفة لها على المسرح شهرة بعيدة ، وقد أخرجت كثيرا من الادوار الفنية الدقيقة التي يعد نجاحها فيها دليلا ساطعا على مقدرتها الفنية وكفايتها الفذة ، فليس عجيبا أن توفق هذا التوفيق في دورها في هذا الفلم ، تمثيلا وأداء وحركة

وقام الأستاذ زكي رستم بدور شوكت المحامي قريب بهيجة الذي يحبها ، ويقتل في سبيلها ، ثم يترافع عنها محاولا انقاذها ، وقد كان في كل مواقفه مبدعا موفقا ، خصوصا في موقفه الأخير عند اعترافه بجرمه الذي يعد من أبدع المشاهد التمثيلية في القصة بما أبداه هذا الممثل الكفء من الحرارة ومهارة الأداء ، وتدفق العاطفة ، واتزان الصوت والحركة ، وزكي هو الآخر من ممثلينا البارزين على المسرح وله أدواره المعروفة وكفايته التي لا تنكر .

هؤلاء الثلاثة هم أبطال الفلم ، وقد عاونهم مجموعة كبيرة من الممثلين الاكفاء الذين أجادوا مواقفهم إجادة كبيرة ، وفي المقدمة الأستاذ محمود حمدي الذي مثل دور وكيل النيابة وألقى كلمة الاتهام وهو يتمتع بصوت جهوري ممتلىء قوي النبرات ، يترك في نفس المتفرج أثراً بليغا ، ومن ممثلي الفلم أيضا حضرات عزيز فهمي ، وحسن كمال ، ومنير أبو سيف ، ومنير فهمي ، وعبد القادر المسيري ، ولطفية الصغيرة ، وقد كانوا جميعا كثيري التوفيق في أدوارهم المختلفة

ولا يسعنا في النهاية إلا أن نهنىء شركة فنار فلم على شريطها الجديد وعلى ما نال من نجاح واقبال ، ونرجو أن يكون هذا حظها على الدوام في افلامها المقبلة .

محمد علي حماد

أكبر نجـاح يناله فيـــــــــلم مصرى الى اليـــــــــ

لشركة فنار فلم

فيـــــــلم الاتهـــــــــــــــــــــ

اقبال منقطع النظير ... نجاح لا مثيل له ... الجماهير تتزا

بنــــــــــاء على طلب الجمــــــــــاهير

يمتـــــــــد العرض اســـــــــ

سينما تريمف بالقــاهرة ❁ سينما الكوزموج

بهيجـــــــــة

تقوم بالدور الاول

اسـطع النجوم المصـــــــــ



بالاشـــــتراك مع زينب

ونخبـــــــة من أكفأ

كل يوم حفلة اضافية الساعة ٣

احجزوا محلاتـــــــــ

بادروا بمشاهـــــــــ

الموسيقية النـــــــــ

وم ـــ عشرات الالوف يشاهدون فى مصر والاسكندرية



ـــــــــام لشركة فنار فلم

حم لمشــــــاهدته

بناء على طلب الجمــــــاهير

ـــــــــبوعا ثانيا

راف الامريكانى بالاسكندرية

حافظ تقوم بالدور الاول

رية الســـــينمائية

صــدقى وزكى رستم

الممثلين والمـــــمثلات

وربع بعد الظهر ويوما الجمعة والاحد حفلة نهارية الساعة ١٠،٣٠ صباحا

ـكم مقدما احجزوا محلاتـــــــكم مقدما

ـندة الفلم المصرى الذى يعد احسن الافـــــــلام المصرية

ـــاطقة التى ظـــــــــــهرت الى اليوم

حول ابن سـينا

للدكتور محمد خليل عبد الخالق

اطلعت فى عدد الرسالة رقم ٣٦ بتاريخ ١٣ مارس سنة ١٩٣٤ صحيفة ٤١٩ على مقال للأستاذ حافظ قدرى طوقان عن ابن سينا ، عدد فيه مؤلفاته ، وبين اكتشافاته الهامة فى العلوم المختلفة ، وأود أن ألفت النظر الى أن ابن سينا أول من اكتشف الطفيلية الموجودة فى الانسان المسماة الآن بالانكلستوما ، وكذلك المرض الناشىء عنها المسمى بالرهقان أو مرض الانكلستوما . وقد كان هذا الاكتشاف فى كتابه « القانون فى الطب » فى الفصل الخاص بالديدان المعوية . وهذه العدوى تصيب الآن نصف سكان العالم تقريبا . وقد بلغ ما كتب عن هذا المرض من المقالات والكتب إلى سنة ١٩٢٢ ، ٥٠,٠٠٠ مرجع عنيت بجمعها مؤسسة ركفلر بأمريكا . وقد سمى ابن سينا هذه الطفيلية باسم « الدودة المستديرة » وقد كان لى الشرف فى سنة ١٩٢٢ أن قمت بفحص ما جاء فى كتاب « القانون فى الطب » عن الديدان المعوية ، وأمكننى أن اقوم بتشخيصها بدقة ، وتبين من هذا أن الدودة المستديرة التى ذكرها ابن سينا هى ما نسميه الآن بالانكلستوما ، وقد أعاد اكتشافها دوبينى فى إيطاليا سنة ١٨٣٨ ، أى بعد كشف ابن سينا عنها بتسعمائة سنة تقريبا .

وقد أخذ جميع المؤلفين فى علم الطفيليات بهذا الرأى فى المؤلفات الحديثة ، وكذلك مؤسسة ركفلر كما يرى من المراجع المذكورة بعد . ولذلك كتبت هذا ليطلع عليه الأدباء ، ويضيفون الى اكتشافات ابن سيناء العديدة هذا الاكتشاف العظيم لمرض هو من الامراض الاكثر انتشارا فى العالم الآن .

المراجع

١ — الدكتور محمد خليل سنة ١٩٢٢
مرجع قديم عن الطفيليات الطبية مترجم عن مؤلف للطبيب العربى ابن سينا مع ترجمة حياته باختصار (بالانجليزية) — مجلة امراض البلاد الحارة ، وعلم الصحة بلندن مجلد ١٤ عدد ٦ مارس سنة ١٩٢٢ صحيفة ٦٣ — ٦٧

٢ — الدكتور محمد خليل سنة ١٩٢٤
رسالة أثرية فى العلقات الطفيلية التى تصيب الانسان (بالعربية) — المجلة الطبية المصرية مجلد ٧ عدد ٧ سبتمبر سنة ١٩٢٤ ص ٤٠٣ — ٤١١

٣ — مؤسسة ركفلر سنة ١٩٢٢
المراجع الخاصة بمرض الرهقان (الانكلستوما) (بالانجليزية) ص ١١ من المقدمة

٤ — فاوست سنة ١٩٢٩
علم الديدان البشرية — فيلادلفيا — صحيفة ٣٥٧

النقد والطربوش وزجاج النافذة

(بقية المنشور على صفحة ٤٨٤)

يكون الحق فى أن يعبث بها اذن ؟ أما أنا فاجيب الاستاذ بأن هذا الحق ليس مباحاً لاحد ، ولكن الناس يستبيحونه لانفسهم ، سواء أرضى الاستاذ أم لم يرض ، وأنا أتحداه ، وأطلب اليه أن يرينى كيف يستطيع أن يمنع الناس من أن يتناولوه بما يحبون من الوان النقد والعبث لا بما يحب هو ، كيف يستطيع أن يمنع الناس من ذلك دون أن يخرج عن طور الكاتب الاديب ؟ واذن فما له يظلم نفسه هذا الظلم ، ويلح عليها بهذا العبث الذى لا قصد فيه ، أم هل ضاقت الدنيا بالاستاذ كما ضاقت بالحطيئة ذات يوم فيما يقال فهجا نفسه ، لأنه لم يجد من يهجوه ، أم هل كره الاستاذ الإخذ والرد ، وضاق بالحوار والجدال ، وكره أن يذكر الناس فيغريهم بذكره ، فآثر أن يذكر نفسه هذه المسكينة التى لا تجد من يدافع عنها ويحميها من صاحبها الطاغية . فان تكن هذه فقد أخطأ المازنى ، فأنذا ادافع عن المازنى برغم المازنى . أخشى ألا يكون لشىء من هذا كله أصل ولا فرع كما يقولون ، وان يكون المازنى قد أراد نقد الكتاب الذى طلب اليه نقده ، فمضى به الخيال ومضت به الدعابة الى هذه الازقة الضيقة الملتوية ، يبحث فيها عن الكتاب وصاحب الكتاب ، فلم يفد الا ان فقد طربوشه واضاع على صاحبه الشيخ زجاج نافذته ، ولم يجن لنفسه ولا لصديقه المؤلف شيئاً . وويل للكتاب وللمؤلفين من دعابة المازنى ومجونه ، وويل للكتاب والمؤلفين من الغاز المازنى ورموزه ، بل ويل للمازنى نفسه من طغيان خياله وجموحه ، فان فى هذا الجسم النحيل الضئيل ، جسم هذا الرجل الهادىء الوديع ماردا لا كالمردة وشيطانا لا كالشياطين .

أما بعد ، فلنذكر النقد والطربوش وزجاج النافذة ، وما يتصل بها من الاشياء والاشخاص ، لنختم المقال كما بدأناه ، وليعلم المازنى أنا لم نتحدث عنه ، ولم نشر اليه ، ولم نفكر فيه ، وانما تحدثنا عن كتاب نقد ، وطربوش فقد ، وزجاج حطمه فتى من الفتيان تحطيما .

طه حسين